لؤلؤ الخليج

ذاكرة القرن العشرين

تأليف
خالد عبد الله عبد العزيز زيارة








لؤلؤ الخليج

ذاكرة القرن العشرين

تأليـف/
خالد عبد اللـه عبد العزيز زيارة

إهـــداء

إلى رفيقة دربي

وشريكة حياتي.. «أم ماجـد»

تحملتِ الكثير من أجلنا

وهذا تعبير عن رد الجميل إليكِ

مع حبي وتقديري،

أبو ماجد

لؤلؤ الخليج
ذاكرة القرن العشرين
تأليف: خالد عبد الله زيارة/ كاتب قطري
الطبعة العربية الأولى / ٢٠٠٥م

الناشر: المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث
إدارة الثقافة والفنون
قسم الدراسات والبحوث
ص. ب: ٣٣٣٢ الدوحة
فاكس: ٤٨٨٣٧٩٤ (٠٩٧٤)

الغلاف: خضير غريب
التصميم والاخراج: المركز الفني
الطباعة: مطابع دار الشرق

تقــــديم

لقد عرف الإنسان اللؤلؤ منذ فجر الحضارات في بابل وآشور ومصر الفرعونية وبلاد فارس وفينيقيا والهند والصين، وانبهر بقدرة الخالق على إلهام الطبيعة، لتخلق كل هذا الجمال. وإنني هنا - في تقديمي لهذا الكتاب - سوف أحدثكم عن اللؤلؤ الذي شكل لمئات السنين عصب الاقتصاد ومحور الحياة في هذه المنطقة، كما هي ثروة النفط اليوم، فإذا كان شباب اليوم يصارعون الطبيعة في هجير الصحارى وأعماق البحار، من أجل اكتشاف ثروات البلاد واستخراجها واستغلالها وتسويقها، فقد كافح الآباء والأجداد أيضاً كفاحاً رائعاً في ظروف شديدة القسوة من أجل استمرار الحياة ونموها وإعمار هذه الأرض الطيبة التي أكرمها الله بهذه الثروات، وقد شاءت حكمة الله أن تشرق شمس الثروة النفطية بعد غروب شمس اللؤلؤ وتجارته ولو إلى حين، ورغم أن تلك السنوات العجاف كانت شديدة الوطأة على العباد والبلاد، إلا أنها كانت اختباراً حقيقياً لمعادن الرجال وصلابتهم وإصرارهم على استمرار الحياة وعمران هذه الأرض.

لقد تميزت لآلئ الخليج العربي بالصفاء والبريق والجمال، نتيجة لطبيعة المرعى ودرجات الحرارة المرتفعة، والأمواج الهادئة التي شكلت المناخ الأفضل لهذه الكائنات، ففاقت سمعتها كل ما عداها من لآلئ، وازدهرت تجارتها فجلبت الثروات، وراكمتها في أيدي أعيان المنطقة وتجارها، حتى أصبحت عصب الاقتصاد والحياة، وتحولت إلى صناعة بالمعنى العلمي للكلمة في ذلك العصر، وقادت صناعة اللؤلؤ التغيرات الاجتماعية والحضارية والثقافية، فتطورت صناعة السفن، ونشطت حركة التجارة، وتحول مئات من بدو الصحراء إلى بحارة وغواصين، ووفد إلى البلاد كثير من الأفارقة للعمل على سفن الغوص وقوارب تجار اللؤلؤ أو "الطواويش"، وتشكلت تركيبة المجتمع وطبقاته وفق معطيات ومتطلبات هذه الصناعة، وتعلم الإنسان في هذه المنطقة كيف يكتشف المغاصات أو "الهيرات".

لقد عادت بي الذكريات وأنا أقدم لهذا الكتاب - الذي أعتبره إضافة إلى مكتباتنا وجهداً متميزاً يستحق عليه مؤلفه كل الثناء والتشجيع - إلى أيام مضت، قدر لي أن أعايش آثارها، وبالتحديد في الثلاثينات من القرن المنصرم، حين انهارت فيها أسعار اللؤلؤ إلى أقل من العشر، وساعدت عوامل مختلفة في استكمال حلقة الحصار على هذه الصناعة والتجارة، وتتشكل الصورة في مخيلتي لآخر سفن الغوص العائدة لتحط الرحال إلى الأبد، وتخلي الطريق لأول ناقلة نفط تبحر من الشاطئ نفسه لتستمر الحياة ويستمر الإنسان في إعمار هذه الأرض.

لقد أنعم الله علينا من نعمه الكثير، ويبقى الدور على شبابنا الواعد من أبناء الوطن، ليشمروا عن سواعدهم، ويدعموا مسيرة الخير العظيمة التي يقودها بكل حنكة واقتدار حضرة صاحب السمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني أمير البلاد المفدى "حفظه الله".

معاً نبحر في مضمون هذا الكتاب، نسترجع معه ذكريات مرحلة جديرة بالاهتمام والتأمل، واضعين نصب أعيننا مستقبل هذا الوطن المعطاء كل في مجال اختصاصه.

عــاشــق اللؤلــؤ

حسين ابراهيم الفردان

مقـــدمة

لاشيء يولد من فراغ، والتقدم في النهاية جهد يتراكم أغلبه في إنجازات الزمن المنصرم ، والمستقبل جزء من حاضرنا الراهن، يتدفق كالنهر المستمر في جريانه، لا يصلح معه التمديد الفاصل بين يوم ويوم ، وعام وعام، لان الأيام تتداخل، والسنوات تتداخل، والقرون تتداخل، والحياة مستمرة .. وهانحن ندخل قرنا جديدا هو خاتمة الألفية الميلادية الثانية من تاريخ حضارة الإنسان ومع بدايات قرن جديد نستطيع في ضوء واقعنا الراهن أن نتعرف على الكثير من ملامحه وقسماته .

إن إيقاع الأحداث وعمق تأثرها والتغيرات البارزة التي حدثت عبر القرن العشرين، أرخت ظلالها على دول العالم قاطبة، ومنها بلا شك دول منطقة الخليج العربي الذي كان مرورها عليه غير عادي ، كان قرنا ملتهبا بالكفاح والطموح والأحلام الكبيرة ، كما كان مليئا بالتحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، في حين كانت دول منطقة الخليج العربي تتطلع لمستقبل مشوب بالاستقرار، إذ لم تظهر آثار النفط عليها إلا مع اقتراب منتصف القرن العشرين، وقبلها كانت حياة هذه البلدان تتسم بالقسوة وشظف العيش، حيث كان أهلها يعكفون على صيد الأسماك والغوص على اللؤلؤ وبعض الأنشطة الاقتصادية البدائية .

تلك الفترة التي قدر لجيل آبائنا معايشة جزء كبير منها ، وفتحوا أعينهم على شظف الحياة فيها فالتصقوا بأجوائها الخانقة ، وانغمسوا بعرقها الممزوج بالجهد والشقاء ، وذاقوا مرارة طعمها اللذيذ بلذة الجهد الخارق الذي تكبده رجالنا من أبناء المنطقة في وقت لم يكن للكسالى والإتكاليين موقع بينهم .. كانوا ينهشون لقمة العيش من أنياب البحر الذي كان مصدر رزقهم ، لقد كانت تضحياتهم كبيرة، سطروا بها أعظم ملحمة شهدها القرن، وحفرت بأحرف من نور تاريخ حضارة شعب عرف كيف يدخل التاريخ من أوسع أبوابه، فأصبحت (اللؤلؤة) المستخرجة من أعماق الخليج السمة المميزة لشعوب المنطقة، والنتاج الحضاري الذي سيظل مفخرة تمتد إلى رحاب القرون القادمة.. . ورغم شدة تلك الحياة وقسوتها ظل الأمل يراود أبناء المنطقة وهم يتطلعون إلى ما يحمله لهم القرن الواحد والعشرون في جعبته من خير .

ولم تكن (اللؤلؤة) إلا واحدة من مظاهر أخرى تميزت بها المنطقة في القرن العشرين، وأفردت لها خصوصيتها، وكانت امتداداً لتاريخها. ولعل من أبرزها (علم الملاحة) الذي نشط وازدهر على امتداد سنواته كنتيجة طبيعية لازدهار تجارة اللؤلؤ التي أنعشت الحياة في المنطقة ، وشكل (لؤلؤ الخليج) عامل جذب لكثير من تجار اللؤلؤ الذين وفدوا من كافة أنحاء العالم بحثا عن (لؤلؤ الخليج) بعد أن ذاع صيته وطبقت شهرته آفاق العالم ، وخلال تلك الفترة الذهبية من تاريخ المنطقة عرف العالم عظمة رواد البحر الخليجيين الذين أضحى الإبحار للغوص على اللؤلؤ مهنتهم ومصدر اعتزازهم والشغل الشاغل في حياتهم والكنز الذي عظم وتسامى، ووجد له رجاله وربابنته المتمرسين في علومه .. وفي هذا الكتاب نبحر في عالمهم بغية تسجيل ما علق في الذاكرة من أنشطتهم، ليكون وثيقة وشهادة على دورهم في صياغة تاريخ المنطقة ورسم معالمه.

المـؤلف

خـالد زيـارة

تكوين
اللــــؤلــــؤ

اللؤلؤ الطبيعي

ظل تشكيل حبة اللؤلؤ داخل المحارة لغزاً من الغاز الحياة بعيدة المنال عن الفهم ، وكان الإنسان يعتقد أن اللؤلؤ سر من أسرار الطبيعة ، وأن القدر وحده يستطيع أن يهبنا هذا الجوهر الجميل ، وكانت اللؤلؤة حسب اعتقاده هدية البحر إلى ملتقطها ، ففي مسيرتها إلى الشاطيء كانت الأمواج تجرف الأصداف وتلفظها مبعثرة فوق رمال الشاطىء ، وما إن تخرج من الماء حتى تتفتح وتكشف عما بداخلها من لؤلؤ ، وتكاد تجمع كتب التاريخ عند بعض العلماء والشعراء على أن تكوين اللؤلؤ هو من قطرات المطر، وقد تنازع الناس واختلفوا في ذلك ، واستدل بعض منهم بذلك إلى أن المطر كلما كان أكثر في سنه وأعجل في وقته كان وجود اللؤلؤ أوفر ، بل إنهم اختلفوا أيضاً في تولده، فمنهم من قال أنه يتولد في الصدفة كما يتكون البيض في الحيوان البياض ، ومنهم من قال إنه يطلع إلى سطح البحر ويتلقى المطر فينعقد حباً .. ويتجلى ذلك في قول أحد الشعراء :-

كقطر الغيث في الأصداف دراً   وفي جوف الأفاعي صار سماً

أما الحقيقة العلمية الحديثة، فقد أكدت أن حبة اللؤلؤ تتكون من جسم غريب يدخل في المحارة فيؤذي الحيوان الرخو الذي بداخلها، فيدافع عن نفسه بإفراز مادة لؤلؤية تحيط الجسم بطبقات منها، حتى يغدو أملس لا يؤذيه، فتتكون من جراء ذلك اللؤلؤة .

ومن هنا فإن اللؤلؤة تتشكل من خلال واقعة طبيعية لا يمكن قياسها، عندما يدخل جزيء غريب داخل المحارة وبمرور الزمن يتشكل نسيج اللؤلؤ حول الجزيء ، وإذا تم ذلك بدون أي تشوه فإن النتيجة تكون المحافظة على الشكل الطبيعي والجميل للؤلؤة ، وهكذا نشأت الشعبية الكبيرة التي اكتسبتها الجوهرة الطبيعية الصغيرة، ويؤكد هذه الحقيقة ما ورد في كتاب (الموسوعة العربية الميسرة)❖ ، وجاء فيها عن اللؤلؤ الطبيعي أن «اللؤلؤ مادة تفرزها بعض الرخويات المحارية ، وتستعمل في صناعة الجوهر، ويتكون اللؤلؤ من المادة نفسها التي تتكون منها صدفة الحيوان الرخو "مولك" في هيئة طبقات متبادلة حول نواة قد تكون حبة من رمل أو طفيلي ، وتوجد اللآلىء في أشكال وألوان مختلفة تبعاً لنوع الحيوان الرخو ونوع الطفيلي أو الجسم».. لذلك فإن البون شاسع بين تكوين اللؤلؤة الطبيعية وتلك التي يكون فيها تدخل الإنسان ضالعاً ومتحكماً في تشكيلها، فاللؤلؤ الطبيعي يتشكل بقدرة الله حين تدخل رمله في المحارة، فتؤلم الحيوان فيفرز عليها لعابه، ويستمر في الإفراز سنوات طويلة، وكلما أحس الحيوان بألم يفرز مزيدا من اللعاب، ومنه يطول عمر الحيوان ، وتتكون تبعا لذلك طبقات متراكمة قد تتجاوز مئات الطبقات ومن هذه الطبقات تتكون اللؤلؤة، وتأخذ هيئتها، إن كانت مستديرة أو مستطيلة أو بطن أو سجني، أو أي نوع من مسميات اللؤلؤ التي سيأتي ذكرها في الكتاب لاحقاً، فالعديد من الطبقات تتكون على الرملة التي في الداخل وهي التي تحدد عمر اللؤلؤة. وبمجرد خروج المحارة من الماء وفتحها، يكون عمرها إلى هذا الحد قد توقف، وهذا التكوين لا دخل لأحد به، فهو تكوّن بقدرة الله سبحانه وتعالى. وهناك من الخبراء من يعرفون أسرار وبواطن اللؤلؤ ، فهم بخبرتهم يخمنون بأن الطبقة العلوية الأخيرة قد تخفي تحتها نوعية فاخرة دون أن ينتبه لها أحد، فلا يفطن لها إلا الخبير، فيغامر بإزالة القشرة العلوية فيخرج منها فعلا نوع من /الجي ون/ الفاخر، وهذا ما دعا الشاعر للقول :-

للدر أهل وأرباب تميّزه   لولاهُمْ كان نوعاً من الحجرِ

لذا فاللؤلؤة الطبيعية تحافظ على رونقها مئات السنين، دون أن يتأثر شكلها، أو تتغير هيئتها ، واللؤلؤة الطبيعية بقدرة الله تمتلك نوعاً من الإحساس مختلفاً لا يعرف معناه إلا من يتحسس ويتذوق معنى الشيء الطبيعي، فما لم يستطع اللؤلؤ المستزرع أن يحققه، هو هذا الفارق في الإحساس، بالإضافة إلى أن عامل الزمن هو الذي اثبت صحة القيمة الحقيقية للؤلؤ الطبيعي بعد التجربة التي كشفت زيف التعامل مع الشيء غير الطبيعي .

❖ الموسوعة العربية الميسرة التي صدرت عام ١٩٦٥

اللؤلؤ المستزرع (المولّد)

مكنت الدراسات العلمية للظواهر الطبيعية الإنسان من السيطرة على عملية إنتاج اللؤلؤ، ومع مطلع القرن العشرين وبداية الغزو التكنولوجي الياباني للعالم ، توصل بعض الخبراء اليابانيين إلى اكتشاف سر تكوين اللؤلؤ ، وتمكنوا خلال سنوات من العمل الدءوب من إنتاج لآلىء مستنبتة ، أي لآلىء ناجمة عن تلقيح المحار يدوياً، وذلك بهدف حث المحارات على إنتاج لآلىء مضمونة وجيدة النوعية .

ويعتبر العالم الياباني (فيتو شيكي بكاو) أول من وضع المبدأ الأساسي لزراعة اللؤلؤ عام ١٩٠٧ حيث قال : "يتسلل جسم غريب إلى داخل لحمة الصدفة التي تعجز عن لفظه، وإذا تمكن هذا الجسم من أن يجرف معه خلايا " إيبتيلية " من المعطف، فإن هذه الخلايا تغلفه بإفرازات لؤلؤية على شكل طبقات، سرعان ما تصبح لؤلؤة عندما تتجمد أثر تعرضها للهواء ، ويكون الجسم الغريب بالتالي محور اللؤلؤة " .. إلا أن هذه التجربة لم تكن كافية لتكوين لؤلؤة كاملة ومستديرة ، فجاء الياباني (تسوي) بعد (بكاو) ليكتشف الحلقة المفقودة، بعد أن أثبت ضرورة إدخال الغشاء (الإيبيتيلي) مع (عرق اللؤلؤ) وزرعه في أعضاء الصدفة، حيث تبين بعد ذلك أن حبة اللؤلؤ التي زرعت بهذه الطريقة لا تختلف في شيء عن حبة اللؤلؤة الطبيعية.

❖ أما الياباني (كوكتيشي ميكوموتو) المؤسس الحقيقي لزراعة اللؤلؤ ، فقد لاحظ في عام ١٨٨٨ أن اللؤلؤ في خطر، والإقبال عليه في ازدياد مستمر، بينما كمية المحار في البحار والمحيطات تقل ، فصمم على اكتشاف طريقة لزراعة اللؤلؤ، وشرع في القيام بأبحاث مستعيناً بخبرة علماء البحار والأحياء، حتى توصل بعد (١٧) عاماً من الجهد المتواصل إلى طريقة ناجحة لزرع المحار وتربية عروق اللؤلؤ بداخله، وبالتالي إنتاج لآلىء مستزرعة تضاهي اللآلىء الطبيعية.

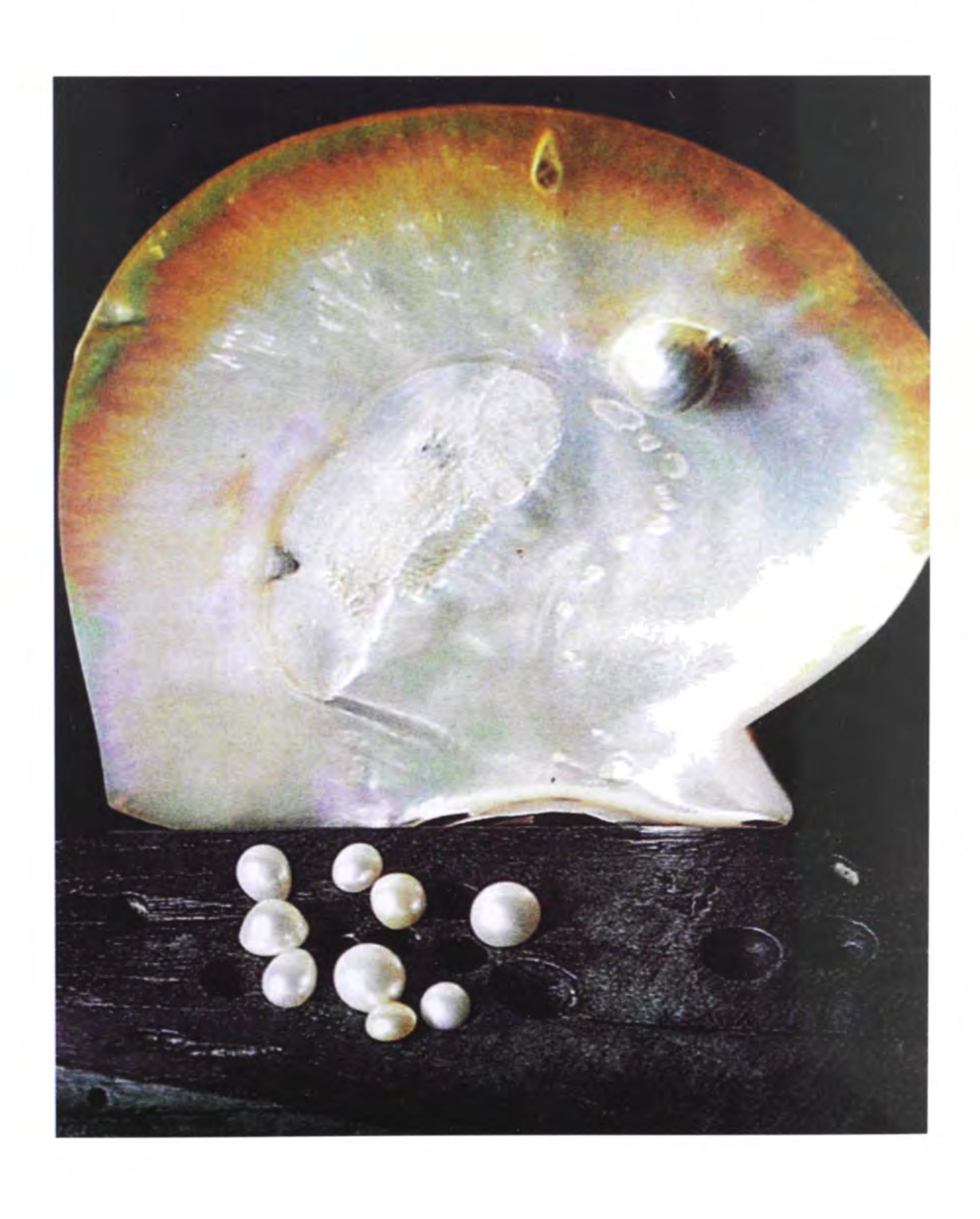
❖ وفي كتابه الشهير (حول العالم في مائتي يوم) تحدث الكاتب أنيس منصور عن (ميكوموتو) حديثاً مستفيضاً وذكر " أنه أول إنسان اخترع اللؤلؤ في العالم" وقال: " إنه بعد أن أصبح اللؤلؤ المزروع يشكل خطراً كبيراً على اللؤلؤ الطبيعي في كل أنحاء العالم ، رفعت قضايا ضد (ميكوموتو) في لندن وباريس وروما ، وأصدرت المحاكم أحكاماً لصالحه، وطلبوا إليه أن

❖ مصطفى مراد الدباغ (قطر ماضيها وحاضرها) صفحة ٤٥

❖ (حول العالم في مائتي يوم) للكاتب أنيس منصور

يكتب عبارة (لؤلؤ طبيعي) ولكنه رفض وكتب عبارة (لؤلؤ مزروع) ، وكان يطلق عليه اسم (ملك اللؤلؤ) .. والحقيقة أن شهرة (ميكوموتو) عمت الآفاق، وصارت لآلئه تعرف باسمه، وقد توفى عن عمر ناهز (٩٩) عاماً تاركاً وراءه أهم مزرعة في العالم، وتنتج مصانعه سنوياً عشرين مليون لؤلؤة وعدد العمال في شركاته حوالي (١٨٠) ألف عامل .

ومنذ ذلك العهد دخلت اللآلىء المزروعة الأسواق منافسة للؤلؤ الطبيعي، وأصبح لا يفرق بينهما إلا بالأشعة السينية ، ولكن القوانين والأعراف الدولية فرضت على المتعاملين بسوق اللؤلؤ وضع إشارة إلى نوعية حبة اللؤلؤ، وذلك بواسطة سند يرفق بها ويكتب عليه لؤلؤ طبيعي، أو لؤلؤ مزروع ، أو لؤلؤ صناعي .



اللؤلؤ الصناعي

أما ما نراه في الأسواق العامة، وتتحلى به معظم نساء العالم، فهذا ما يطلق عليه اللؤلؤ المصطنع أو الصناعي .. وهو مبتكر من حبات مجوفة من الزجاج تغطي (بالجبلين) وهي مادة من الغراء ، وتؤخذ من العظام ، ولكن يعطى هذا الغشاء أضواء كبريق اللؤلؤ يخلط بقشور بعض الأسماك.

وعن اللؤلؤ الصناعي يتحدث الشيخ طنطاوي جوهري بقوله "إن رجلاً فرنسياً ويسمى جاكون كان في سنة ١٦٥٠م يغسل نوعاً من السمك في ماء عذب، فرأى في غسالته لمعاناً كلمعان اللؤلؤ حين يجف ، فخطر له أن يطلي به خرزاً من الزجاج بعد مزجه بشيء من الشمع حتى يلصق بالزجاج ، ففعل وصنع أول لؤلؤة صناعية في التاريخ ، فاشتهرت لآلئه وأقبلت عليها النساء في ذلك العصر، وأصبحت هذه صناعة فرنسية مصدرها نوع من السمك" .. وحديثاً توصل العلماء الهنود بمعهد أبحاث الأحياء المائية بمدينة (كوشين) الهندية إلى طريقة مبتكرة ومنخفضة التكاليف لإنتاج اللؤلؤ الصناعي ، حيث توصل هؤلاء العلماء إلى إمكانية زراعة اللؤلؤ في خزانات أسمنتية صغيرة الحجم وداخل مياه منخفضة الملوحة ، ويعد هذا الأسلوب أفضل واقل تكلفة من زراعة اللؤلؤ في مياه البحار والمحيطات المفتوحة ، كما أن هذا الأسلوب تسهل مراقبته وتطويره ، وأكدت الأنباء أن العلماء تمكنوا بالفعل من إنتاج مجموعة من اللؤلؤ الصناعي بهذا الأسلوب وبألوان مختلفة بين الأبيض والذهبي، وذلك في درجة ملوحة تتراوح بين (١٨-٣٢) وأنه على الرغم من أن بعض حبات اللؤلؤ كان بها عيوب الا أنه أمكن معالجتها.

هذا الابتكار وغيره كما يؤكد العارفون بشئونه سيسهم في انتشار مثل تلك اللآلىء وأن دراسات تجرى لتحسين نوعيته وألوانه، إلا أنه ومع كل ذلك تبقى اللؤلؤة الطبيعية معجزة فذة من معجزات الخالق سبحانه وتعالى ، وكنزاً ثميناً جامداً يخرج من جوف حي ذاهب إلى الزوال .



عالمية اللؤلؤ وتطوره
في منطقة الخليج العربي

اللؤلـؤ في التـاريخ

منذ آلاف السنين واللآلىء تعني المقتنى النفيس ، وعملية البحث عن الكنوز موجودة في الحضارات الصينية والهندية والفرعونية والإغريقية الغابرة، وفي حضارات الرومان ، ومن خلال وقائع التاريخ فان بهاء البريق السحري للآلىء قد أسر معظم نساء العالم، وبهر الأثرياء وذوي السلطة في كل بقعة من أرجاء العالم ، فملكة سبأ وأباطرة المغول والملكة اليزابيث الأولى وغيرهم من الذين اهتموا في حياتهم بجمع اللآلىء .

❖ فاللؤلؤ من الأحجار الكريمة، وتؤكد كتب التاريخ أن الإنسان الأول عرف اللؤلؤ وأعجب بجماله وروعته منذ فجر الحضارات، وتحدث عنه (أرسطو) الفيلسوف اليوناني في كتابه (الأخبار)الذي ألفه عن الأحجار الكريمة ومنها (اللؤلؤ) ، وذلك قبل رحيله عن الدنيا عام ٣٣٢ قبل الميلاد، وهو مصدر معتمد للعلماء، حيث يقول في إحدى فقراته عن اللؤلؤ (انه حجر شريف ، وجوهر ثمين ، معدني حيواني ، وهو من أجلّ الأحجار قيمة وقدرا" ونفعاً ، وحلية تلبس ، وتكوينه متباين لسائر ما عداه من الجواهر الشفافة ، لأنها ترابية ، وهو حيواني).

ويذكر أن قدماء الصينيين عرفوا اللآلىء، وقد أدى بريقها الدائم ووجودها داخل أحشاء المحارات إلى التعامل معها بحذر، وذلك لاعتقاد قدماء الصينيين بأنها الروح الخفية لهذا الحيوان .. وقد كان الصينيون قبل أربعة آلاف سنة يدفعون حبات اللؤلؤ كضريبة للملك قبل أن تعرف العملات النقدية .

وكان الإغريق والرومان مفتونين باللآلىء القزحية اللون ذات السحر الذي لا يقاوم، والتي يتم اصطيادها من أعماق البحر المظلمة ، وقد اعتبر الرومانيون اللؤلؤ خلال عصر الإمبراطورية الرومانية مؤشراً على منزلة الفرد الاجتماعية، ويشكل بالنسبة لهم رمزاً للطبقة الأرستقراطية ، ودلالة على الثراء وقوة النفوذ ، وقد دفع القائد (ثيثليوس) الروماني مصاريف حملة كاملة من حملاته ببيع حلية واحدة من حلي أمه اللؤلؤية .. أما في اليونان فقد ذكرت المخطوطات اليونانية أن اللؤلؤ كان يحتل المرتبة الأولى في القيمة بين كافة الأشياء الثمينة .

ويعرف أيضا أن أباطرة المغول في الهند كانوا يرسمون في قصورهم الفخمة وهم يرتدون العمائم المزخرفة بالجواهر ، كما دأب مهراجات الهند على ركوب الأفيال المزينة باللآلىء وغيرها من الجواهر

❖ كتاب (الأخبار) للفيلسوف اليوناني (أرسطو)

النفيسة ، وقد كانت العملات المعدنية القديمة تحمل صورا لرؤوس ملكات يتحلين باللآلىء ، فيما كان العرب يزينون عمائمهم وثيابهم بالذهب المرصع باللآلىء، بالإضافة إلى بعض الجواهر الثمينة الأخرى، وكانوا يحفظون اللآلىء في جرار مملوءة بالماء كمظهر من مظاهر الجمال الطبيعي ، وقد عرف العرب اللؤلؤ في الزمن القديم ، وكانوا قديماً يستعملون الأحجار الكريمة واللآلىء في أغراض متنوعة ، ويعرف عن الملكة كليوباترا أنها كانت تلبس قرطين من اللآلىء الثمينة في أذنيها ، وأنها قامت ذات مرة بإذابة إحداها في وعاء مملوء بالنبيذ ثم شربته تعبيرا عن مكانته الفائقة .

❖ كما أبدعت قرائح الشعراء العرب في توظيف جمال اللؤلؤ، ولم يكن وصفه غائبا عن إبداعاتهم، وقد تجلى ذلك في ما وصلنا من أشعارهم ، إلا أن معلومات مغلوطة شاعت بين دارسي الأدب مفادها أن الأدب الجاهلي يكاد يخلو من اهتمام بالبحر وحياته ، وتشير أصابع الاتهام إلى الجاحظ الذي ينسب إليه أساس هذه المقولة بما ذكره في كتابه الحيوان، ويؤكد باحثو الأدب أن الجاحظ القى في روع الدارسين أنه لا جدوى من توجيه عنايتهم إلى ما يتصل بحياة البحر من شعر، إذ ليس ثمةّ ما يسد الجهد ، وإذا كان ثمّة شيء فهو غث مبذول ، وتبعه في تنفيذ هذه الوصية عميد الأدب العربي طه حسين، حين تلقف ما قاله الجاحظ دون تثبت، مستهدفاً من ذلك تأكيد مذهبه في رفض الشعر الجاهلي ، ومع ذلك فآراء دارسي الأدب تتفق على أن صور الغوص على اللؤلؤ في الشعر الجاهلي قليلة إذا ما قيست بالصور الأخرى لحياة البحر .

أما في العصر الإسلامي فقد علا شأن اللؤلؤ وزاد الاهتمام به، خاصة بعد الفتوحات الإسلامية، وما حققه المسلمون من مكاسب انعكست على الحياة العامة، وأحدثت انفتاحاً في حياة المسلمين المعيشية والاجتماعية، وغيرت من نمط سلوكهم وعاداتهم. حتى إن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد فتح المدائن في العراق كان يبكي لما كان يخافه على المسلمين من الترف والانغماس في النعيم .

وشاع استعمال اللؤلؤ في عصر الدولة الأموية، واستعمل الخلفاء الأمويون اللآلىء في شتى المجالات للزينة وللمباهاة ، وكان الخليفة الأموي يزيد بن عبد الملك من أشدهم ولعاً باقتناء اللآلىء الفريدة ، وذكر أنه حشى فم أحد الشعراء لؤلؤاً بعد أن مدحه بقصيدة أعجبته .

❖ أما الخلفاء العباسيون فكانوا يحتفظون باللآلىء ويهتمون كثيراً باقتنائها، وكثيراً ما كانوا يستخدمونها بدلاً من الدراهم في أسفارهم، وكان رجال الدولة يتفاخرون باقتناء اللؤلؤ ونحوه ، كما أن المتوكل على الله كان إذا أنشده أحد الشعراء وأعجبه شعره، يأمر بملء فمه لؤلؤاً .

❖ الباحثة القطرية الدكتورة سلامة عبد الله السويدي ضمن دراسة لها في العدد التاسع عشر من حوليه كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية بجامعة قطر تحت عنوان (اللؤلؤ في الشعر الجاهلي والإسلامي).

❖ (تاريخ التمدن الإسلامي) للكاتب جورجي زيدان

وقد اقتنى ملوك الطوائف في الأندلس اللآلىء والأحجار الكريمة، وبلغت ثروة بعض هؤلاء الملوك مبلغاً عظيماً، وزاد الاهتمام باللؤلؤ في العصور المتلاحقة، حتى حظي بمكانة قلما نجدها في الأحجار الكريمة الأخرى ، وانعكس ذلك على شعر العرب في العصر الإسلامي وما تلاه، مما دعا هؤلاء الشعراء إلى أن يوجهوا اهتمامهم إلى اللؤلؤ، حتى غدا مادة في صور أشعارهم ووظفوه توظيفات فنية مختلفة .

لآلىء الخليج العربي .. تاريخ وأصالة

على مدى مئات السنين كان الخليج العربي ينتج النسبة العظمى من لآلىء العالم ، وكانت قطر والبحرين والكويت من أهم مراكز هذه الصناعة العريقة .. وتثبت الوثائق التاريخية أن الخليج العربي كان قبل ظهور النفط في دوله ، ومنذ آلاف السنين، يشكل مركزاً تجارياً هاماً وطريقا يوصل الشرق والغرب عبر البحرين والبصرة حيث كان يتم تبادل اللؤلؤ بالحرير والشاي وغيرها من البضائع ، وكان اللؤلؤ المورد المالي الرئيسي لشعوب الخليج .

وتؤكد مصادر التاريخ أن الهنود كانوا يشترون اللؤلؤ من الخليج ويأخذونه إلى عاصمة بلادهم (بومباي)، حيث يثقب ويلمع ويباع داخل الهند، ويصدر الباقي إلى الصين التي كانت من أغنى البلدان



في العالم آنذاك ، وكان أغنياؤها من التجار والأمراء والأباطرة يعشقون اللؤلؤ ويعتبرونه أهم جوهرة تجلب الحب والمال والسعادة للإنسان. وكانت لآلىء الخليج التي تأتيهم عن طريق الهند تحظى بتلك المنزلة والمكانة ، وانتقلت سمعة هذه اللالىء إلى الإمبراطورية الفارسية ، وبعد ذلك إلى العثمانيين ، وازدهرت أثناء الحروب الصليبية ، ومن بعدها تعرف الأوروبيون على لؤلؤ الخليج العربي ، فكان في البداية حكراً على الأغنياء والملوك لمدة طويلة خصوصاً في المملكة المتحدة التي تحتفظ في متاحفها حالياً بأشهر لآلىء الخليج العربي.

من ذلك يتضح أن مهنة الغوص على اللؤلؤ كانت قوام الحياة بدول الخليج العربية منذ قرون عديدة، ومحور صياغة إنسان هذه المنطقة وتطلعاته وأعرافه وعلاقاته.. لقد كان الغوص بحثاً عن اللؤلؤ عند الخليجيين مقياساً لرجولة الرجال ، وعنوان نضوج الفرد كعضو عامل نافع في المجتمع، وهو المصدر الرئيسي للدخل القومي والفردي طوال العام ، ورب رحلة غوص لا تسفر عن مغنم ، فيعود الرجال بالهمّ والدين والصبر الجميل ، ينتظرون المواسم اللاحقة التي فيها الفرج ، إذ لم يكن استخراج اللؤلؤ في الخليج يعتمد على قاعدة ثابتة بل كان الاعتماد على الحظ ومدى محالفته للغواصين.

الغوص: معانيه ودوره في الخليج

الغوص لغة يعني النزول إلى تحت الماء أو الدخول في الماء، وغاص في الماء غوصا فهو غائص وغوّاص، والغواص هو الشخص الذي يغوص في البحر بحثا عن اللؤلؤ... وأورد أبن منظور في (لسان العرب) الجزء الخامس مادة (غ و ص) أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) نهى عن ضربة الغائص وهو أن يقول له أغوص في البحر غوصه بكذا، فما أخرجته فهو لك، وإنما نهى عنه لأنه غرر (أي فيه نوع من الخدع) .. ويوضح ابن منظور "أن الغوص يعنى الهجوم على الشيء والهاجم عليه غائص" .. وقال الأزهري "يقال للذي يغوص على الأصداف في البحر فيستخرجها غائص وغوّاص".



❖ وقد اشتهرت منطقة الخليج العربي منذ القدم بمهنة الغوص على اللؤلؤ واستخراجه من قاع البحر وافتتان أهله بهذه الصنعة .. وأوردت المؤلفات التاريخية وكتب الرحالة الذين جابوا المنطقة منذ بداية القرن التاسع عشر أوصاف هذا النشاط الاقتصادي في هذه المنطقة ، واشتغال أهل منطقة الخليج بمهنة الغوص واستخراج اللؤلؤ.. كما أورد المسعودي المتوفى في عام ٣٤٦ هجري معلومات مستفيضة عن أماكن استخراج اللؤلؤ في منطقة الخليج ومواعيد الغوص وأدواته وأنواع اللؤلؤ المستخرج .. وبالإضافة إلى المسعودي فقد جاء ذكر الغوص على اللؤلؤ في كتب ابن بطوطة و البيروني وغيرهم، وهو ما يدل بشكل مؤكد على أصالة هذه المهنة وعراقتها وامتداد معرفتها وخبراتها إلى تاريخ ضارب في القدم.

وقد أصبحت كلمة الغوص في منطقة الخليج العربي تعني كمصطلح شامل كل نشاط في مجال عملية البحث عن اللؤلؤ وتعنى حرفياً النزول إلى الماء ، وفي موسوعة لوريمر الشهيرة (دليل الخليج) في طبعتها الجديدة المنقحة التي أعدها قسم الترجمة بالديوان الأميري بدولة قطر ورد في القسم التاريخي منها :

"أن التعبير عن صيد اللؤلؤ يكون عادة بلفظ الغوص، وجميع العاملين على اختلاف عملهم يطلق عليهم الغواصون ".

وأهل الخليج عرفوا الغوص على اللؤلؤ واشتهروا به منذ مئات السنين، وكان مصدرهم الرئيسي للكسب ، ومارسوا الغوص وتفننوا في أدائه رغم أن كل من عمل فيه وعايش ظروفه يعرف أنه من أشق الأعمال وأقساها، وذلك للجهد المبذول فيه، والوقت الذي يقضيه الغواص في العمل خلال اليوم، والمعاناة النفسية التي تفرزها الظروف المحيطة بالعمل من طول مدة البقاء فيه بعيدا عن أسرهم، حيث يبدأ موسم الغوص مع بداية فصل الصيف، أي في شهر مايو (أيار) وتسمى (الدشة) أو (الركبة)، وينتهي بانتهاء هذا الفصل، أي في شهر سبتمبر (أيلول) عندما يصبح البحر باردا مع دخول فصل الشتاء ويسمى (القُفّال).

وتؤكد المصادر التي اعتمدنا عليها استقاء المعلومات الخاصة بهذا الجانب. منها أن البحارة يتعرضون لظروف قاسية و أمراض عديدة أيام وجودهم في البحر خلال مواسم الغوص فغياب أربعة أشهر وأكثر ليس بالشيء السهل أو الهين، خاصة أن الغياب محفوف بالمخاطر ومتجه نحو المجهول الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى ، ووفقا لتلك المصادر فإن موسم الغوص يبدأ بما يسمى بـ (الغوص العود) وهي فترة الغوص الرئيسية، فجميع سفن الغوص الكبيرة والصغيرة تذهب في هذه الفترة إلى داخل البحر في المياه العميقة، للبحث عن اللؤلؤ في مواقع معروفة تسمى (الهيرات) وهي أماكن تواجد المحار الذي يحمل اللؤلؤ .

والهيرات مفردها «هير» وهو موقع في وسط البحر عمقه يتراوح بين ١٠ و ٢٠ متراً، وتكثر فيه الاعشاب والمحار، واحياناً يرى البحار المتمرس في معرفة الهيرات مشاهد الهير أثناء الجزر في وسط البحر في وضح النهار.

❖ كتاب المسعودي (مروج الذهب) الجزء الأول صادر عن دار المعرفة ببيروت عام ١٩٨٢م والذي قام بتحقيقه محمد محيى الدين.

أصناف لؤلؤ الخليج وأنواعــه

لم يجد لؤلؤ الخليج حظه الكافي من الدراسة والتحليل المتعمق في جوانبه المتعددة والمتنوعة إلا من بعض المجهودات القليلة ، وقد ارتكزت معظم الدراسات السابقة على المعلومات المتعلقة بنشاط الغوص بشكل عام، والمستمدة من السجلات الرسمية للدولة التي تحتوي غالبا على كشوف بأسماء السفن والعاملين فيها، ومصروفات الغوص والأرباح، وما إلى ذلك من معلومات تندرج في إطار النشاط التجاري والإداري ، أما تعريف اللؤلؤ فلم يحظ بالتركيز المطلوب، رغم ارتباطه بركن رئيسي من تراث الغوص وهو اللؤلؤ الذي يعد أحد المعالم الأساسية في هذا التراث ، ونهدف من التعريف الذي سنورده هنا عن (أسماء وأنواع وأصناف اللؤلؤ) إلى تسجيل وتوثيق المادة العلمية لهذا التعريف خوفا من الضياع والاندثار ، بعد أن لاحظنا عدم دقة هذا التعريف الوارد في الكتب المتخصصة في مجال إصدارات اللؤلؤ، وخلو تلك الكتب من التسجيل العلمي لتعريف لآلئ الخليج العربي التي تتفرد بخاصية لا توجد في اللآلىء المماثلة في العالم .. ورغم أن اللآلىء توجد في جميع أنحاء العالم لكن لآلئ الخليج العربي تعرف بأنها الأجود في أوساطها ، ولم يكن هناك موقع في العالم ينتج لآلئ بهذا الكم والكيف وباستمرار، كما في الخليج العربي.



لقد ظلت عملية تشكيل اللؤلؤ داخل المحارة على مدى القرون من أسمى الأساطير وأكثرها شاعرية، وكانت تحظى بشغف الإنسان القديم في كل العصور، وترتبط في ذهنه بالكثير من الأساطير التي تدور حول ملكة كل الجواهر، كما ذكر في رسالة هندية قديمة .. وكانت بلاد الهند وفارس وغيرها من دول الشرق قد تركت لدول العالم الأخرى الأساطير التي تدور حول أصل اللؤلؤ، وأدى ذلك لإضافة نوع من

الهيبة إضافة إلى الفتنة والروعة التي أحاطت باللؤلؤ تقليديا .. وتقول إحدى هذه الأساطير عن كيفية خلق اللؤلؤة داخل المحارة إن محارة اللؤلؤة تفتح صدفتها عندما تهدهدها الأمواج البحرية وحيث تدخلها الرطوبة وأشعة القمر العاجية الساطعة لتكون سببا في تشكيل اللؤلؤة .. ورغم ما تجمع عليه هذه الأساطير والمصادر العربية أو تكاد إلا أن حقيقة تكوّن اللؤلؤ مختلفة تماماً عما ذكره علماؤنا الأفاضل في عصورهم .. ومع أن مواصفات اللؤلؤ معروفة في كل أنحاء العالم إلا أن الأكثر شهرة والذي يمتلك كل الصفات هو (لؤلؤ الخليج العربي) ففيه أفخر أنواع اللؤلؤ في العالم اليوم ، والمعروف لدى المختصين في علم اللؤلؤ وخبرة صياديه أن اللؤلؤ الطبيعي الأصلي الذي يستخرج من المياه المالحة في الخليج العربي خصوصاً قرب الشواطىء لا يمكن أن ينتج لآلىء متشابهة في اللون والقياس والشكل، لأن اللؤلؤ الخليجي هو طبيعي منذ بداية تكوين المحارة أي (أمّ اللؤلؤ) إلى خلق نواة الحبة ونضوجها خصوصاً الأحجام الوسطى والكبيرة عكس اللؤلؤ الزراعي الذي يتحكم منتجوه في شكله وحجمه إلى حد معين .. وقد تطورت عملية زراعة اللؤلؤ أدت إلى إنتاج اللآلىء المعروفة ببريقها اللامع وتكاملها وقيمتها العالية، إلا أن اللؤلؤ الطبيعي الذي يستخرج من بحر الخليج العربي يتفرد بجودته وروعة شكله ولونه وسمك الطبقة اللؤلؤية وحجم كل حبة منه، مما جعله يحتل مكانة مرموقة في الأسواق الدولية وعلى هذا الأساس نبحر معا للتعرف على حقيقة لآلئ الخليج من حيث خصوصيتها وتفردها وما تحويه من أنواع تعرف على المستوى العالمي بأسمائها ٠

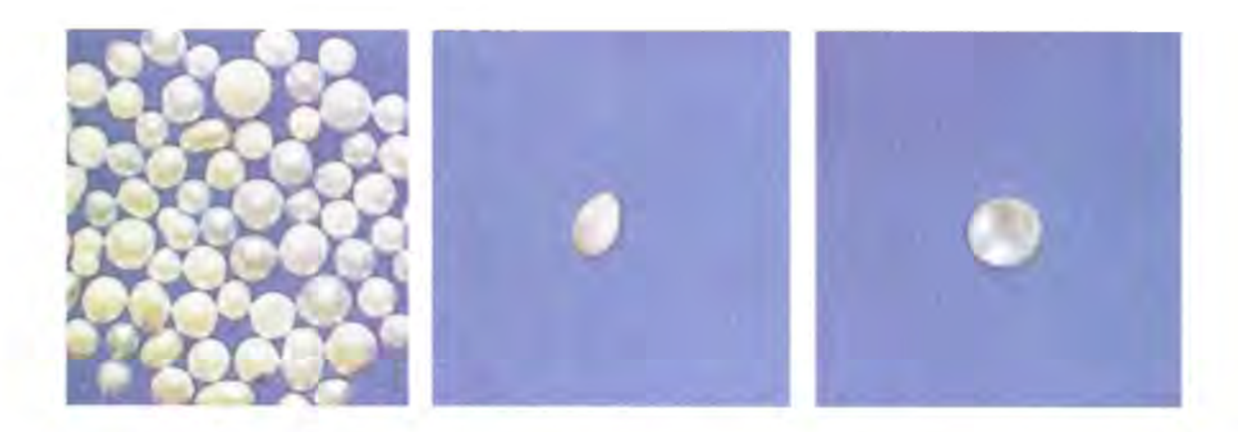
❖ وإمعانا في توضيح ذلك نقدم شرحاً لكل مواصفات وأسماء وأنواع اللؤلؤ في منطقة الخليج العربي وقد جمعناها من عدد من الرواة الثقة ومن الخبراء المتمرسين في عمليات بيع وشراء اللؤلؤ، إبان تلك الحقبة الهامة من حياة أهل الخليج ٠

تعريف بأهم أنواع اللؤلؤ في الخليج :

يؤكد خبراء اللؤلؤ في الخليج أن أحسن وأفخر وازهى لؤلؤة تسمى لديهم (دانة) وهذه تطلق على كل لؤلؤة صغيرة كانت أو كبيرة تحمل هذه الصفات وهي لفظة هندية ، وأحياناً يطلق عليها (حصباه) وتعطي نفس المعنى وتحمل نفس الصفات ، والحصباه الفريدة يسمونها (الدانة الغلطانة) وهي التي حصلوا عليها بالصدفة أو بشق الأنفس، وذكرها الشعراء العاميون في أشعارهم لجمالها وتقديرهم لها .. ونود هنا

❖ كل التعريفات وأنواع اللؤلؤ التي وردت في هذا الجانب تم توثيقها والاعتماد عليها من مصادر موثوفة وهم الرواة الذين قابلناهم ضمن البحث الميداني وهم :

١- الوجيه حسين الفردان - قطر
٢- الوجيه حمد بن رحمه الشامسي - دبي
٣- الوالد حارب بن راشد الحارب - قطر
٤- كتاب (كنوز الخليج) - البحرين وزارة الاعلام



الإشارة إلى أن لفظة (قماش) يطلقها سكان الخليج العربي على خامة (اللؤلؤة) بمختلف أشكالها ومفردها (قماشه)، وقد استمد أهل الخليج هذه التسمية من قماش الثوب الناصع البياض وذلك وفق ما أورده عدد من الرواة حول اصل هذه التسمية .

وقد اجمع كافة المتعاملين باللؤلؤ على أن كلمة (دانه) أو (حصباه) مصطلح متعارف عليه عند أهل منطقة الخليج العربي، وتسمى اللؤلؤة الفريدة لديهم (دانة) وجمعها (دانات) كما تسمى (حصباه) وجمعها (حصابي) ، وهذه المفردة تطلق على أكبر أنواع اللؤلؤ ، وأصغرها تسمى (اليكة) وهي حبات صغيرة جدا ، بينما أردأ أنواع اللؤلؤ يسمى (الخشرة) ، .. ووفق الوزن المتبع في ذلك الزمن فإن الحصباة تزن من رتي واحد إلى عشر رتيات وعندما تزيد عن العشرة تصبح دانة وهي تعد من اكبر انواع اللؤلؤ ٠٠ وهناك شيء تحت الرتي، وهذا يطلق عليه حصباه بطن، فالاواني التي يزن بها اللؤلؤ بها ست طاسات فإن بقيت في الطاسة السادسة اصبحت حصباه الراس، واذا سقطت في الذيل تسمى حصباه الاذن، واذا سقطت في الطاسة الرابعة اوالثالثة تسمى البطن، واذا سقطت إلى الاسفل يطلق عليها سحتيت ناعم.

وتتكون الدانة أو الحصباة من مجموعة تسمى عند تجار اللؤلؤ في الخليج ب (الجي. ون) وتضم هذه المجموعة أصنافاً عديدة يمكن أن تكون (دانة) صغيرة أو كبيرة حسب:- (نوعيتها - سلامتها - لونها).

لذلك تختلف قيمة اللآلىء حسب الشكل والجودة واللون واللمعان والوزن ومدى تألقها، من حيث الطريقة التي تعكس بها اللؤلؤة الضوء أو تحلله بواسطة بلورات الكالسيوم أو الارجوانيت، أو الطريقة التي ينفذ بها الضوء في أعماق السطح. وأكثر اللآلىء روعة هي تلك التي تجمع ما بين اللمعان والتألق في آن واحد.

وتضم مجموعة ال (جي ٠ون) أنواعاً عديدة من اللآلي، تأتي في مقدمتها أنواع ثلاثة تعد من أفخر الأنواع في المنطقة، وتحظى باهتمام من يقتنون اللؤلؤ وهي:-

(الكول - السجني - البطن).

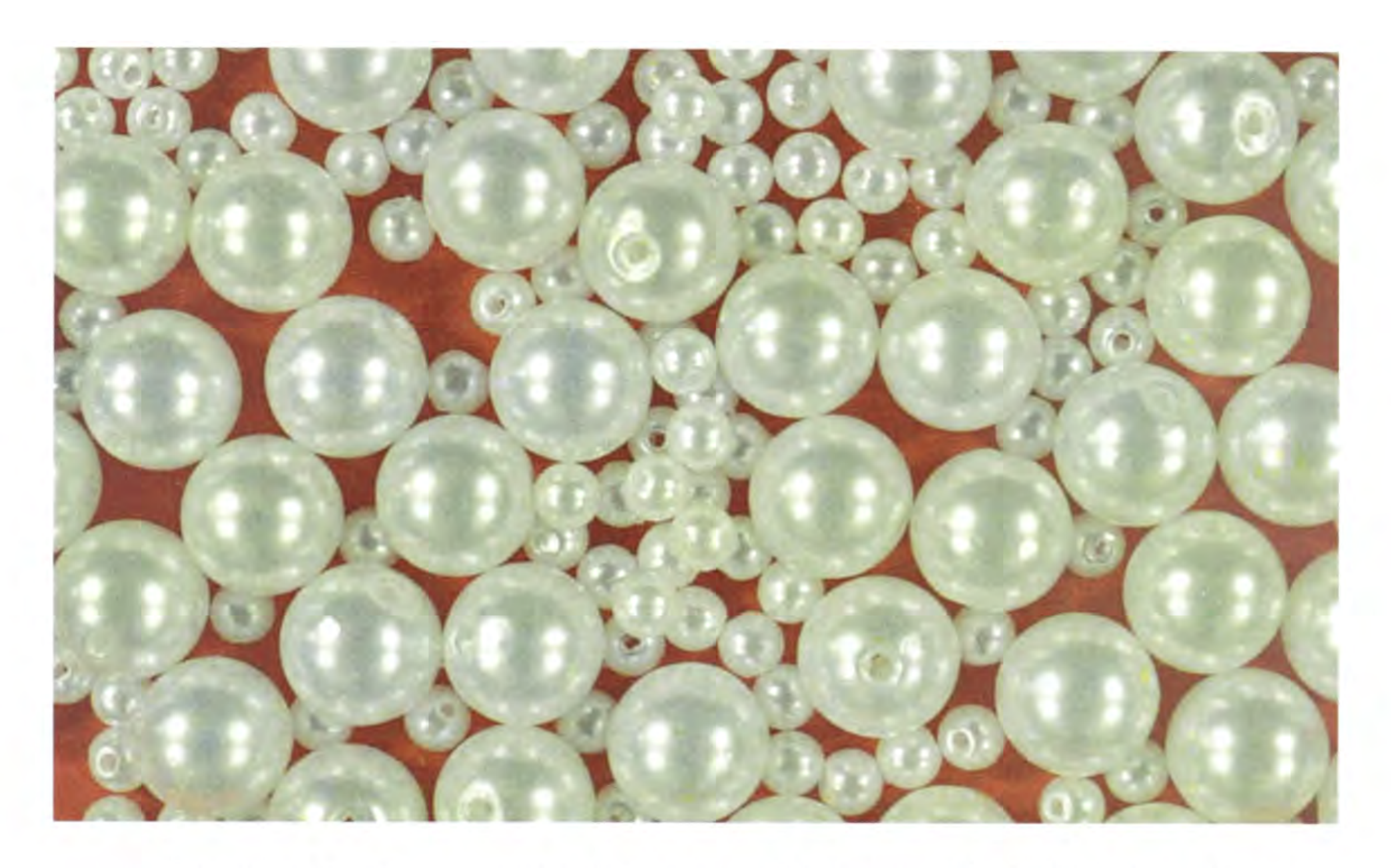
وطريقة تكوين هذه الأشكال تتم حسب موقع اللؤلؤة من الصدفة، وكمية الإفراز الذي تحيط قطرها، فتكون مدورة وهي ما يطلق عليها (كول) ، وتكون على شكل دمعة والتي تسمى (سجني أو تمبول) ، وتكون نصف دائرة وهي ما تسمى (البطن).

فمن حيث نوعيتها فإن اللؤلؤة يجب أن تكون كول مستديرة أو بطن أي نصف دائرة ، أو سجني، وتشبه الدمعة أو ثمرة الكمثرى وهذه الأشكال هي من أفخر لآلئ الخليج المعروفة.. أما من حيث سلامتها فهذا يعني ألا يكون في الدانة أي خدش ، فإذا كانت الدانة (كول) لابد أن تكون مستديرة استدارة تامة وعندما تكون (سلم) أي لا يوجد بها خدش ولا شوائب ، وبها لمعة عالية ، جسمها ناعم تغلب عليه السلاسة ، وهنا يمكن تصنيف اللؤلؤة تحت مسمى (جي ون . كول . سلم) وهذا المصطلح يعتمده تجار اللؤلؤ في تقييم اللؤلؤة وتكون متوافقة معهم من حيث النوع والسلامة ، أما من حيث اللون فأحسنها تلك التي يكون لونها وردياً أو أبيض.. وأفخرها وأغلاها ذلك النوع الذي يتصف باللون الأبيض الذي يميل إلى اللون الأحمر أو الوردي قليلا".. لذا فالنوعية الفاخرة هنا يجب أن تمتاز باللون الأبيض المائل إلى اللون الوردي ، وبالتالي فهي من أفخر وأحسن أنواع اللؤلؤ .. وتجار اللؤلؤ في الخليج العربي يعرفون هذه النوعية، ويضعونها في أعلى درجات اللآلىء ويطلقون على الصفات العالية الجودة واللون والحجم اسم :-

(دانه . جي ون . كول . سلم)

وهذه النوعية من الدانات تخرج من المحارة بخلقة الله (عز وجل) وتتشكل حسب إفراز الحيوان داخل المحارة ، إلا أن هناك دانات (جي ون) تأتي لاصقة في المحارة، فيقطعونها بواسطة (خبير) متخصص يزيل بعض الطبقات بحذر شديد فتخرج (نقفة) وهذا يطلع منها (دانة جي ون بطن) أي لا تكون مستديرة كاملة فتسمى (بطن) أي نصف دائرة.

وإذا كانت مجموعة ال (جي ون) تعرف بأنها الأرقى في أنواع اللؤلؤ، مع ما يتبعها من صفات السلامة الجيدة والألوان المتفردة، فهناك مجموعة (اليكة) التي تأتي في المرتبة التي تليها، وهي لا تقل من حيث الجودة والسلامة، إلا أنها تختلف بأنها مختلطة الألوان، وهنا لا يمكن تصنيفها على أنها من الدرجة الثانية، لأن صفاتها أيضا شاملة وتحتوي على كل مواصفات الدرجة الأولى، بل إنها فعلا من الدرجة الأولى، لكن (الجي ون) يعتبر عادة من النخبة المختارة من (اليكة) .. وتشتمل (اليكة) على أنواع متفاوتة المستوى، وهي تعد من أصغر اللآلىء حجما ، ففيها مثلا (العدسي) الذي يكون على شكل حبة العدس ، وفيها (أقعزي) وهو نصف دائري مرتفع قليلا.



ومن الدرجات العالية الأخرى نوع يطلق عليه (الكولوه) وهي نوعية ممتازة وثمينة، وحسب تصنيف تجار اللؤلؤ يقسمون اللآلىء بالنوعية الجيدة كل وفق درجاته، فهذه النوعية تأتي في الدرجة الثانية ولها مستواها المتميز أيضا ، وفيها كل أنواع اللؤلؤ (الكول) و(البطن) و(السجني) وغيرها من التكوينات المتوفرة في اللؤلؤ وهي غالية الثمن.

ويأتي في الدرجة الرابعة تقريبا نوع من أنواع اللالىء يطلق عليها (البدلة)، وهي أصناف عديدة، وتعرف بأنها غير منتظمة الشكل وليست مستديرة ، وبها درجات متعددة حسب التعرجات والصفاء والنوعية، ويتأثر سعرها حسب شكلها النهائي، وتستعمل غالبا للخواتم ولعمل القلائد والبروشات وغيرها .. مع الوضع في الاعتبار أن الشكل مهم جدا في أسواق اللؤلؤ، وله دور كبير في تحديد القيمة الشرائية له، ومن خلال الشكل يتم تحديد السعر .. ومن هنا يطرح السؤال حول كيفية تحديد أسعار اللؤلؤ، وللإجابة عن هذا السؤال يجب الإشارة إلى أن سعر اللؤلؤة الطبيعية يعتمد على :-

(شكل اللؤلؤة ووزنها ولمعانها)

فالأسعار ترتفع كلما كبر حجم اللؤلؤة، وتزيد القيمة مع تمايز الشكل واللون؛ مع ملاحظة أن اللآلىء الصغيرة من الأنواع الأولى والتي تجمع ميزات عديدة هي أيضا غالية الثمن.

وإذا كانت مجموعة (الجي ون) و (اليكة) و (الكولوه) تستخرج من المحارة على شكل لآلئ جاهزة ف (البدلة) تأتي لاصقة في المحارة وتحتاج إلى كسر لاستخراج اللؤلؤة منها .

والمرتبة التي تلي ذلك نوع يطلق عليه (النمرو) وتأتي أيضا لاصقه في المحارة ، فبعد كسرها وتنظيفها، يتم الحصول على لؤلؤة لها قاعدة أرضية وهيئتها على شكل نصف دائرة.. و (النمرو) يوجد فيه أصناف معينة، وهذه الأصناف تقيمّ حسب الصفاء والنوعية، فلذلك أثمانها تختلف حسب هذه الخصائص، فيوجد فيها (نيمرو جي ون) و (نيمرو يكه) و(نيمرو كول) .. ف (النيمرو) هي لؤلؤة لاصقة في المحارة ولها خبراء متخصصون يخرجونها من محارتها، وهذه العملية تتم في البر، حيث يجمع المحار الذي يحتوي على هذا النوع من اللؤلؤ في قماش خاص، ويتم بيعه بعد العودة من رحلة الغوص بالشكل الذي استخرج منه من المحارة.

ونوع آخر يطلق عليه اسم (التبابة) ويجتمع فيه كل أنواع اللؤلؤ، وتكون اللؤلؤة أيضا لاصقة في المحارة، ويأخذها (الطواش) حسب الحظ، بحيث يفرز كل نوع بمفرده، فيمكن أن يحصل على (مجهولة) أو يمكن أن يحصل على (جي ون) أو يمكن ألا يطلع منها أي شيء له قيمة.. وهنا يبرز دور (الطواش الخبير) الذي يميز اللؤلؤ فلا يقدم على شراء هذه الأنواع إلا بعد التأكد من إحساسه تجاه اللؤلؤة، فيقوم بفرز كل نوع على حده، ويقيّمها حسب نوعها، فهناك مشتري لؤلؤ لا يقبل إلا على (الجي ون) وهناك من لا يقبل إلا على (اليكه) وهكذا .. ويشير خبراء اللؤلؤ وفق رواياتهم إلى أن الطواش الشاطر، هو الذي يعرف كيف يصنف اللآلىء، ويهيئها للبيع حسب نوعياتها.

وهناك نوع آخر من اللآلىء يسمى (البدلة) وهي نوع يكون أيضا لاصقا مع المحار وهي رديف لنوع من اللآلىء يطلق عليه (كام شاهي) وهي تعادل ال (بدلة)، فيقوم المتخصصون بإصلاحها وتنظيفها، لتأخذ هيئتها النهائية التي غالبا ما تكون في طبيعتها غير منتظمة الشكل.

ولمزيد من الدقة والإمعان والتركيز في شرح مفردات اللؤلؤ وأنواعه وأصنافه وكل خصائصه ، ولتيسير الأمور في الوصول إلى أسماء اللآلىء مع شرح وظائفها نعرض هنا جدولا مبسطا ومرتبا ترتيبا عمليا وفق الأولوية والأهمية المتعارف عليها بين (الطواويش) في خليجنا العربي المعطاء .

أسماء مفردات اللؤلؤ :

كـــول : لؤلؤة مكتملة الاستدارة .. وبها أنواع، منها النقي السالم من كل الخدوش والنتوءات إضافة إلى اللمعان والبريق الذي يميل لونه إلى الأبيض المائل إلى الوردي، وتوجد أيضا (دانه) واحدة من (الكول) تسمى (الكولوه) وهي اقل مستوى من (الجي ون) ومكتملة الاستدارة.

بطـن : دانه نصف مستديرة وهي أنواع منها (اليكة) و (الكولوه)، وبه أنواع يسمى (بطن أقعزي) وهو نصف استدارة مرتفع الشكل .. و (بطن أعدسي) يشبه حبة العدس في الشكل ومدبب من الجهتين.

سجني : ويسمى أيضا (تمبول) وهي لؤلؤة تشبه (الدمعة) أو فاكهة (الكمثرى) وهي مختلفة الأشكال والأنواع .

نقفة : لؤلؤة لاصقة في المحارة ومجموعها (نقف)، وتزال من المحارة ثم تنظف وتكسر، وهي نوع من (النيمرو) وأحيانا تكون (دانه) ممتازة، وتظهر بعدة أشكال وأغلبها (بطن) ويسمى (فص نيمرو) .

أنواع اللؤلــؤ :

جي ون : أفخر أنواع اللآلىء، وبه عدة ألوان، ويشتمل على عدة أشكال من اللآلىء التي تحمل الصفات التالية (البراقة الزائدة اللمعان تميل إلى اللون الوردي شفافة ويطلق عليه (Ross skin) وهي عدة أنواع منها المستدير وهو (كول) والنصف دائري وهو (البطن) والكمثري الشكل وهو (السجني) .

يكة : جمعها (يكات) وهي أيضا من أفخر أنواع اللآلىء وتشتمل على ألوان ومواصفات متقاربة لـ (الجي ون) لكنها مختلفة الألوان والأشكال .. وتأتي (اليكة) بعد مجموعة ال (جي ون) وهذا النوع أيضا يعد من الدرجة الأولى لكن أقل درجة قليلا ، لذلك النخبة المختارة منه يسمى (جي ون) وفيها (جي ون سلم ، وبطن ، وسجني) والغالب عليها الشكل المستدير ف (اليكة) فيها جميع ما في (الجي ون) إلا أن الاختلاف فقط في درجة الألوان .

كولوه : وجمعها (كولوات) وهي نوعية ممتازة وأسعارها مرتفعة وتشتمل على عدة ألوان وعدة أشكال من اللآلىء القريبة من الانتظام أو الاكتمال في الشكل وفيها مكتمل الشكل الدائري أو قريب منه وهي تحتوي على أشياء مختلفة ففيها (البطن) و (الكول) و(السجني) وفيها (أعدسي) وفيها (أقعزي) .

بدلة: جمعها (بدلات) وهي أنواع غير منتظمة الشكل كلية وتشتمل أحجام وأنواع مختلفة وهي عدة درجات حسب التعرجات والصفاء والنوعية كما إنها متدرجة ولها أسعارها وتستعمل للقلائد والختم والقلوب والبروشات وغيرها .

تبابة : وجمعها (تبايب) وهي مجموعة لآلئ تشمل كل أنواع اللؤلؤ المعروفة وبها ألوان وأشكال مختلفة بمعنى هي خليط من جميع أنواع اللآلىء فيمكن يحصل فيها (تبابة نيمرو) أو (تبابة يكة) أو (جي ون) أو (كولوه) أو (بدله) ويمكن أن لا يخرج منها أي شيء فالأمر متوقف على الحظ ، وهنا يبرز دور الطواش الخبير الذي يستطيع بخبرته وفطنته أن يستخرج منها الأنواع الفاخرة فيقوم بفرز مجموعة (التبابة) وبخبرته يقسم المجموعة حسب أنواعها ويبيعها بالثمن المناسب .

خشرة : جمعها (خشرات) وهي من أرخص أنواع اللآلىء وتشتمل على أشكال غريبة وألوان مختلفة منها الأسود الداكن والأسود الرمادي وأنواع تسمى (المفرص) و (الفولي) وهو نوع مختلف الألوان وأكثره داكن اللون (غامق) وغير منتظم الشكل وبه نتوءات .. ويوجد في الأسواق بعض التجار المتخصصين في (الخشرة) .

نيمرو : هي لؤلؤة تكون لاصقة في المحار فتكسر وتظهر لؤلؤة لها قاعدة أرضية لاصقة في المحار

فتنظف ، وبها عدة أنواع منها (فص نيمرو جي ون) وفيها (كولوه) وفيها (بدله) .. وهي نصف دائرة وفيها أصناف معينة ودرجات تقيّم أثمانها حسب الصفاء والنوعية .. ولها خبراء لتقويمها والمعروف إن (النيمرو) يظل في محارته إلى انتهاء موسم الغوص فيباع في مجموعات وبكميات على الطواويش على حاله فبعض الطواويش يأخذون هذا المحار ويخرجون اللؤلؤ منه ويصلحونه بعد تنظيفه ثم يبيعونه وآخرون يبيعونه كما هو على حاله ويسمى (مخشر) .

مخشر : جمعها (مخاشر) وهي مجموعة أنواع، إلا أن النوعية الجيدة منها توضع في كيس منفرد وتسمى (العوالي) .. فهناك بعض الطواويش يشترونه ويبيعونه كما هو لبعض الخبراء الذين يفصلونه من المحارة بدقة متناهية وخبرة ويتم تنظيفه وإزالة القشور والطبقات، فتظهر من هذا المحار أحيانا (دانه جي ون) أو (دانه كولوه) .. فيتم فرز هذه الأنواع بمفردها والباقي يتم تجميعه على شكل أحجام وألوان وأنواع، وهو ما يقع تحت مسمى الـ (نيمرو) .

مجهولة : جمعها (مجاهيل) وهي شكل غير منتظم تخرج لاصقة في المحارة، ويؤمّل أن يخرج منها دانة ممتازة، وهذه لها خبراؤها الذين يقدمون على شرائها وكسرها لاستخراج ما بداخلها . وإذا حالفهم الحظ فقد يجدون بداخلها (جي ون) ثمينة، وتكون بذلك سنة خير، أو يجد بها لؤلؤة بنوعية اقل، وقد لا يجد بها أي شيء، وهنا الخسارة الكبرى على المشتري وقليل من الطواويش يقدمون على شراء (المجهولة) وفق مبدأ المغامرة .

ناعمة : وجمعها (نواعم) وهي أحجام صغيرة متدرجة المقاسات ومتنوعة الألوان والأشكال، وأصغر نوع منها يسمى (السحتيت) أو (الرتي) وهو بحجم رأس الإبرة، وتشتمل على أنواع وأشكال عديدة حسب ما يتم فرزها من المحارة، فيوجد فيها (ناعمة شيرين) و (مخلوط) و (ناعمة كول) و (ناعمة بطن) و (ناعمة سجني) .

بربوكة : وجمعها (برابيك) هي لؤلؤة مجوفة من الداخل، وتتكون على أشكال عديدة وهي قليلة الثمن، ولها متخصصون في بيعها .

عظمة : وجمعها (عظام) نوع لاصق في المحارة ، صلب ، يقطع من الصدفة أو المحارة ولها أيضا متخصصون في بيعها .

مفرّص : نوع من اللآلىء لاصق بعضها ببعض أي بمعنى هي مجموعة لآلئ متعددة أو لؤلؤتان فأكثر لاصقة بعضها ببعض فيقوم الخبراء بفصلها وتنظيفها ووضعها بشكلها الصحيح، بحيث تأخذ شكلها الطبيعي.

كام شاهي : وهو نوع من اللآلىء من أصناف (البدلة) ويكون لاصقا في المحار ويقوم الخبراء أيضا بفصله وتنظيفه ووضعه في تكوينه الصحيح، ثم يلم في مجموعات تسمى (كام شاهي).

جبـــــته : نوع من اللؤلؤ رقيق الشكل.

سنكباسي : لؤلؤ رمادي اللون يميل إلى الغامق أو الداكن قريب إلى السواد وفيه ألوان افتح قليلا، ويتكون من جميع أصناف اللؤلؤ .

نبـــــاتي : لؤلؤ أبيض يميل إلى الاحمرار، وبه أصناف عديدة، ويعد من أجود أنواع اللؤلؤ أيضا.

فولــي : هو نوع من اللؤلؤ متضرس الأشكال يميل إلى اللون الأزرق والأسود وهو غير منتظم الشكل.

كـــات : هو أجود أنواع (البدلة) ويسمى (كات).

كلابي : هو أفخر أنواع اللؤلؤ قاطبة، وهو ما يطلق عليه (الجي ون) ويكون دائما من اللون الأبيض مائل إلى الوردي الخفيف بالإضافة إلى بريقه الزائد.

ريتي (سحتيت) : وهو أصغر أنواع اللؤلؤ، ويباع بالمثقال، ويستعمل في حالات كثيرة للأدوية، وأيضا يشك على الأقمشة والملابس، كما يشك على بعض أنواع المجوهرات، ويستخدم كثيرا في الهند وفارس وتركيا.

ركـــــم : وأخيرا نأتي إلى ذكر هذه المجموعة المهمة في عرف تجار اللؤلؤ فهذا النوع يطلق على أكبر مجموعة من اللؤلؤ يملكها الطواش أو تاجر لؤلؤ كبير، فيقال مثلا أنه قد تم بيع (ركم) فلان بن فلان، وهذا يعني أن صفقة تجارية كبيرة للؤلؤ قد أبرمت في هذا اليوم، والركم تعني مجموعة ضخمة من اللآلىء تشكل كل أنواع اللؤلؤ.

الأوزان.. وطرق المبايعة

بعد هذا التعريف الشامل لأنواع اللؤلؤ ومسمياته نعرج للإشارة إلى جزئية ملازمة لحياة الغوص في منطقة الخليج وهي طرق المبايعة والأوزان المستخدمة. فالمعروف أن تجار العالم المشتغلين بالجواهر يزنون الأحجار الكريمة بـ(القيراط) أما تجار الخليج العربي فيستعملون الوحدات القديمة للأوزان والمعروفة ب (الشو) وهي لها علاقة معقدة بالقيراط.



الوالد حمد بن رحمه الشامسي :

حول هذه الجزئية الهامة من حياة الغوص يحدثنا الوالد حمد بن رحمه الشامسي ، وهو من تجار دبي ومن كبار المشتغلين باللؤلؤ، حيث ورث هذه الصنعة من والده المرحوم رحمة بن عبدالله الشامسي ، الذي يعتبر من ذوي الخبرة الرفيعة والمعرفة الواسعة، في كل ما يتعلق بتجارة اللؤلؤ من حكمة وحسن تدبير ودراية بأصول التعاملات من فرز وتصنيف وتقييم أنواع اللؤلؤ المختلفة ، وقد كان مرجعا يقصده الكثير من الناس من غير ذوي الاختصاص لاستشارته ، كما يلجأ إليه أصحاب سفن الغوص والتجار، يعرضون عليه ما تم شراؤه من لؤلؤ ، كما كان رحمه الله من الذين يلجأ إليهم الناس في حال نشوب خلافات بينهم، تتعلق بالتعاملات التجارية في مجال اللؤلؤ، وذلك لما عرف عنه من أمانة ودراية بتفاصيل الأمور.

الوالد حمد بن رحمه، استمد خبرته في هذا المجال من هذا الخبير وفي هذا الصدد يقول : لقد تلقيت الإشارات الأولى في فن التعامل مع اللؤلؤ وأنا في الرابعة عشرة من عمري ، ونظرا لوجودي مع الوالد في بيت واحد ومرافقتي الدائمة له ، تمكنت من التعرف على الكثير من أمور تجارة اللؤلؤ والتجار وأصحاب السفن الذين يتعاملون به، فلا غرو إذن أن أكتسب خبرة لا بأس بها من رجل عاش عمره بين كبار القوم من المتعاملين باللؤلؤ، في مقدمتهم المغفور له إن شاء الله سمو الشيخ راشد بن سعيد المكتوم حاكم دبي، والمغفور له سمو الشيخ أحمد بن راشد المعلا، والمغفور له علي بن عبدالله العويس الذي كان يتوافد على مكتبه كبار الشخصيات من الأعيان والعلماء والتجار من مختلف الجنسيات للبيع والشراء، حيث كان علما بارزا في التجارة بجميع ميادينها، وأخص بالذكر تجارة اللؤلؤ، وكان يمون مجموعة من سفن الغوص الكبيرة في إمارة الشارقة وجزيرة الزعاب برأس الخيمة ٠٠ وخلال مشوار حياتي مع والدي ومرافقتي له تعرفت على العديد من الشخصيات الذين عاصرتهم معه من تجار اللؤلؤ وأصحاب السفن، وأخص بالذكر منهم احمد بن ماجد الغرير، وسالم بن مصبح بن حمودة، وعبدالله بن محمد البدور، ومحمد بالقيزي وعلي بالقيزي، وعبدالمحسن الصانع، وسعيد الدليل، ومحمد بن خليفة الخلافي، وغيرهم ممن لا تحضرني أسماؤهم.

❖ وبخلفية الخبير بأدوات الغوص فيما يتعلق بالأوزان والمقاييس يقول الوالد حمد بن رحمه الشامسي:

فرضت الخبرة هنا دورها في تحديد أنواع وأشكال ومسميات وأسعار اللؤلؤ، لذلك يحرص تاجر اللؤلؤ على تخصيص مساعد له بمثابة خبير، يرافقه غالبا في عملية البيع والشراء، إلا أن مسالة تعيين خبير ليست بالمسالة السهلة، لأنه عملة نادرة يصعب وجوده ، وهؤلاء الخبراء على عاتقهم يقع فرز وتقييم أنواع اللؤلؤ واختيار الأفضل بواسطة أدوات خاصة .

❖ هذا اللقاء مع الوالد حمد بن رحمه الشامسي ، وهو من تجار دبي ومن كبار المشتغلين باللؤلؤ تم في دبي خصيصا لدعم الكتاب ٠

والمشتغلون في مجال اللؤلؤ يستعملون كتيباً به جدول معادلات الأوزان ، ويتم تحديد أحجام اللؤلؤ من خلال وحدة قياسية تسمى المثقال أو الطاسة، والفروقات الصغيرة في اللؤلؤ لها اعتبارات ، ويتبين ذلك من عدد الطاسات التي يصل عددها إلى أربعين طاسة وأكثر، وهي تدل على الأحجام المختلفة للآلىء التي يتم تصنيفها عن طريق غربلتها وفرزها بواسطة هذه الغرابيل التي تعرف الواحدة منها بالطاسة، وهي تحتوي على فتحات بأحجام مختلفة، وكل فتحة تسمح بمرور حجم معين .. وخلال فرز أنواع اللؤلؤ يتم في البداية تحديد مقاساتها بواسطـــة الطاسات، وغالبا ما تكوّن مجموعة متقاربة الأحجام ، ولكن بنوعيات مختلفة فيتم جمع الأحجام المتقاربة كل حسب مجموعته وألوانه٠

ويواصل الوالد حمد بن رحمه الشامسي شرح معلوماته بقوله:-

من خلال هذا الفرز تتحدد أنواع اللآلىء وأسعارها التي يتم تقييمها من خلال أدوات الوزن التي تحتوي على أسماء خاصة، فالمثقال يستعمل لوزن النواعم ، والرتي يستعمل لوزن الوحدات ذات الأحجام الكبيرة .. ومن السحتيت وصاعد يستعمل الشو ، فالأوزان القديمة تتكون من مجموعة تسمى:-

(داني - رتي - آنه - شو - دوكه)

لذلك فإن قياسات الوزن تعتمد على طرق معروفة، ولها حساباتها الخاصة المتعارف عليها وفق بيانات موثقة، ف ٢٤ (رتي) يساوي عند أهل البحر واحد (مثقال) ، والمثقال يعادل ٢٢ (قيراط) ونصف، والمثقال الواحد يساوي ٣٣٠ (شو).





ويضيف أن أي طواش لا يستغني عن أدواته الخاصة التي تظل مخزونة في صندوق خاص به، يطلق عليه (البشتخته) وهو مصنوع من خشب السيسم الخاص، قوي مقاوم يتحمل عوامل الزمن حتى أن بعضها يصل عمره إلى ٣٠٠ سنه دون أن يحدث له أي تغيير ، وتتفاوت غالبا نوعيات (البشتخته) من طواش إلى آخر .. ويلازم هذا الصندوق الطواش في مجلسه وفي أماكن استقراره ، ولا يفارقه أبدا حتى في موسم الغوص أثناء عملية البحث عن اللؤلؤ في وسط البحر .. وفي هذه البشتخته يحفظ الطواش لآلئه وأمواله وعدة الطواشه التي تتكون من الدسته وهي التي تحتوي على أدوات الوزن والغربلة والمكاييل والمكبرات ونحوها، فيفرش قطعة قماش حمراء اللون تحيطها حاشية من شريط قماش أبيض مربعة الشكل طولها نحو متر أو متر ونصف وتضم في داخلها عدة العمل وهي:-

(ميزان ، أوزان ، طاسات ، كفشه ، دفتر)

وأول عمل يعمله الطواش هو أن يضع كمية من اللؤلؤ في الطاسة الأولى ذات الفتحات الكبيرة لغربلتها، واللؤلؤ الذي يمكث في الطاسة يسمى حصابي، ثم يغربل في طاسة ثانية فتحاتها أصغر من الأولى، واللؤلؤ الذي يمكث فيها يسمى رأس الطاسة، وهكذا مع بقية الطاسات ذات الفتحات المختلفة حتى أصغر اللؤلؤ الذي يسمى (اليكة) .

وهذا بيان لتعريف أدوات الطواش وهي :

الميزان : وهو مصنوع من نحاس ، خفيف الوزن ، حساس ، وله كفتان يوضع الوزن في كفة واللؤلؤ في الكفة الأخرى للمعادلة .

الأوزان: وتتكون غالبا من أحجار العقيق حيث تقوم هذه الأحجار بدور الوزن، ولها أسماء هي (مثقال ، رتي ، آنه) .. ويتم وزن اللآلىء بهذه الأحجار وفق مقاييسها، ثم تحول إلى ال (شو) ٠٠ مثال على ذلك إذا قلنا أن إحدى الدانات وزنها (٦ رتي) فهي تساوي (٢٠ شو ونصف) و (١٢ دوكره ونصف) .

الطاسات : وهي نوع من الغربال لفرز اللؤلؤ وهي مصنوعة من النحاس، ولها عدة مقاسات لفرز وتحديد الأحجام، وتشتمل على أعداد كبيرة تصل إلى اكثر من أربعين (طاسة) وبها فتحات مكونة من عدة مقاسات .

كفشة : وهي أيضا مصنوعة من النحاس وتستخدم لغرف اللؤلؤ وتحريكه من مكان إلى مكان وهو على وضعه داخل القماش الخاص به وكذلك لنقله إلى مكان آخر، لان في عرف المتعاملين باللؤلؤ فإنه لا تستخدم الأيدي كوسيلة لتحريك اللؤلؤ.

دفتر : يستخدمه الطواش عندما يشتري اللؤلؤ، فهو بواسطته يحول الأوزان من (الرتي) إلى (الشو) لتحديد قيمة اللآلىء .. وهذا الدفتر يعتمد عليه تجار اللؤلؤ في تحديد الأوزان وهو معروف لديهم جيدا .



نظم المبايعة :

أما فيما يتعلق بنظم المبايعة فهي أيضا لها خصوصيتها حيث يطلعنا الوالد حمد بن رحمه الشامسي على طريقتها من واقع تعامله حتى وقتنا الحالي في بيع وشراء اللؤلؤ فهو يقول في هذا الصدد :-

تخضع تجارة اللؤلؤ بين أهل البحر في الخليج العربي في مسألة الشراء والبيع لنظم صارمة ومعقدة للمزايدة مع مراعاة الصرامة ، وهي تشبه إلى حد كبير تجارتها في أيامنا الحالية ، ما عدا الغرف المفروشة تقليديا في الماضي، والتي حلت مكانها المكاتب الفخمة والمكيفة ، ولكن هذه التغييرات التي طرأت على المجتمع الخليجي لم تؤثر على نظام البيع التقليدي للؤلؤ ، فما زالت طرق البيع تتم بالطريقة القديمة، وذلك بوضع الرداء الأحمر التقليدي فوق فرش السجاد حينما تتم المبايعة بين تجار اللؤلؤ .. ولا تخلو عملية المبايعة هذه من الإثارة، حيث يجري فيها تطبيق النظام القديم للمزايدة الصامتة ، وهي مشهورة جدا بين تجار اللؤلؤ في الخليج ، وما زالت متداولة بينهم ، فإذا أراد التاجر أن يخفي عن الحاضرين القيمة التي يود أن يدفعها لصاحب اللؤلؤة ، فإنه وصاحب اللؤلؤة يخفيان أيديهما تحت قطعة قماش أحمر اللون ثم يشرعون في المزايدة بالإشارة بأصابعهم لحساب المزايدة .. ويرجع هذا النظام التقليدي إلى مئات السنين الماضية.

لؤلؤ الخليج..
انحسار وازدهار

بداية النهاية

لقد كانت حقبة الأربعينات مفترق طرق بين ما كان عليه أهل الخليج العربي وما أصبحوا حتى مطلع الخمسينات❖ وتتفق آراء كثير من الدارسين والممارسين والمعاصرين لمرحلة الغوص على اللؤلؤ في منطقة الخليج العربي، على أن السبب الرئيسي لأفول ممارسة عملية الغوص الفعلية، وتوقف نبض الحياة فيه، يرجع إلى ظهور البترول الذي أدى إلى اضمحلال حركة الغوص وتدهور تجارة اللؤلؤ ، ومع منطقية تلك الآراء إلا أن واقع المرحلة التي ظهر فيها البترول في دول الخليج العربي يثبت أن متغيرات دولية ساهمت وبقوة في القضاء على مورد أهل الخليج وشريان حياتهم، فالبترول كان بمثابة البلسم الذي أعاد البسمة إلى شفاه الناس بعد فترة عناء مضنية، فكان السبب في تحول الناس إليه، مفضلين العمل به على اللؤلؤ نظرا للمشقة القصوى التي يجلبها العمل في الغوص والبحر فضلا عن المخاطرة بالحياة ، وأرى وفق قناعتي الخاصة أن البترول، وإن كان له الأثر في اضمحلال هذا النشاط، لم يقض على تجارة اللؤلؤ نهائيا، لم يكن السبب المباشر والرئيسي في صد أهل الخليج عن ممارسة الاتجار به. والدليل أن لؤلؤة الخليج ما تزال تحتفظ بشهرتها في المزادات العالمية، ولها أسواقها الهامة ومتداولوها وممارسوها ومن يقتنونها، سواء هنا في منطقة الخليج العربي أو في العالم قاطبة .



❖ خالد العزي (الخليج العربي في ماضيه وحاضره) ص ٥١٥

ولم تسلم المنطقة إبان حقبة الأربعينات من نكسات وتغيرات وأحداث، لم تقض على مورد رزقهم فحسب، بل قصمت ظهور رجال أشاوس وأخيار وأحالت حياتهم إلى جحيم، بعد أن تكالبت عليهم تصاريف الدهر من كل حدب وصوب، فقد شهدت تلك الفترة عنفوان ازدهار نوع غريب من اللؤلؤ أطلق عليه (اللؤلؤ الياباني) أو اللؤلؤ الصناعي كما يحلو للبعض تسميته ، واستطاع في فترة سريعة أن يسحب البساط من تحت لؤلؤ الخليج الطبيعي، بل أغرق أسواق العالم وبأسعار تنافسية رخيصة وخيالية، أفقدت لؤلؤ الخليج قيمته، وأثرت في حركة تداوله، خاصة في سوق الهند الكبير الذي لا يوجد لأهل الخليج منفذ ترويج لبضائعهم غيره في تلك الفترة .. كما تزامنت تلك الحقبة مع وقائع وأحداث الحرب العالمية الثانية التي أرخت ظلالها الكئيبة على المنطقة، وأثرت على بيع اللؤلؤ في العالم، حين كان العمود الفقري لاقتصاد الخليج في الثلاثينات وما بعدها لفترة من الزمن، وهذا بطبيعة الحال ما دعا كثيراً من الدراسات الى اعتبار موضوع الحرب من الأسباب التي أثرت على انحسار قيمة اللؤلؤ ، وعزت إليه أفول وهج الغوص في تلك المرحلة ، والأهم من كل تلك الأسباب وفق قناعتي الخاصة أيضا إعلان استقلال الهند، ذلك الحدث - رغم أن بعض الرواة والمعاصرين لا يعدونه مبررا للقضاء على لؤلؤ الخليج بالصورة القاتمة - إلا أن الذين لسعوا بنارها، وتضررت مصالحهم، يقدرون شدة وقع ذلك الحدث على تجارتهم وما آلت إليه حياتهم نتيجتها .

بداية انحسار نشاط الغوص :

توصلت شركات النفط الى اكتشافات عام ١٩٣٢م في البحرين و ١٩٣٨م في الكويت والمملكة العربية السعودية وعام ١٩٤٠م في قطر، وبدأت البحرين تصديرها المنتظم عام ١٩٣٤م والسعودية عام ١٩٣٩م، ولكن خلال شهور من تحميل أول ناقلة من رأس تنورة بحضور الملك عبد العزيز في الأول من مارس بدأت الحرب العالمية الثانية ، وتضاءلت الآمال بالخلاص أمام أعين الحكام والشعب، واستمر الإنتاج في البحرين، إلا أن العمليات تقلصت جدا أو تعطلت في بقية دول الخليج ، ورغم وجود بعض الاكتشافات وأعمال التطوير في السعودية توقف التصدير، وفي الكويت وقطر توقفت كل العمليات، وسحبت شركة النفط موظفيها، أو أغلقت الآبار الجديدة المكتشفة في قطر .

وعلى صعيد آخر أصيب اقتصاد الخليج في مرحلة الثلاثينات بنكبة قاسية، بعد أن أعلن عن ابتكار اليابان للؤلؤ الصناعي الذي لعب في هذه الفترة على وجه الخصوص دورا هاما في انحسار قيمة اللؤلؤ الطبيعي ، إلا أن العاملين في سوق اللؤلؤ يتفقون على أن اللؤلؤ الصناعي لم يحدث أي أثر عكسي على لؤلؤ الخليج مع بداية ظهوره في الثلاثينات ، وتشير المصادر إلى أن أسواق الهند ظلت إلى مرحلة الأربعينات تستوعب أضخم الكميات وبمختلف الأنواع بشكل عادي، دون أي اهتمام بوجود هذا المنافس ، بل أن تجار الخليج يرجعون الفضل لهذه البلاد بدخولهم وسط العالم الحديث من أوسع أبوابه، حيث هيأت لهم الاحتكاك مع المسئولين والتجار البريطانيين، وتعلموا حينها اللغة

الإنجليزية، وتعرفوا على منتجات استهلاكية جديدة وطرق تجارية جديدة ، وكان تجار الخليج يبيعون معظم لآلئهم في بومباي، حيث كان يجرى صقلها وثقبها لإدخال الخيوط فيها ، فسوق الهند كما يصفونه آنذاك سوق كبير يبلع كل منتج دون تردد، خاصة حين يتم الإعلان عن زواج أبناء أحد المهراجات ، حينها يشتعل السوق، ويرتفع سعر اللؤلؤ الى أعلى مراتبه، فيأتي المندوبون ، ويقومون بلم كل الأنواع المتوفرة، خاصة المتميز منه، لصنع القلادات والحلي ، لأنهم يرغبون باللؤلؤ الطبيعي ، فإذا تم زواج ثلاثة من أبناء المهراجات في سنة واحدة يعتبر تجار الخليج أنفسهم محظوظين جدا، إضافة الى أن طلب الأوروبيين كان في السنوات الأخيرة وقبل انحسار أيام اللؤلؤ مجزيا وكبيرا، وكان تجار فرنسا وأمريكا وبريطانيا يأتون إلى المنطقة ويشترون اللؤلؤ الطبيعي.

اللؤلؤ الياباني واستقلال الهند من أسباب الكساد :

❖ لقد أدت سرعة انتشار اللؤلؤ الياباني، وتغلغل نفوذه في أسواق الهند، وغزوه أسواق أوروبا بسرعة فائقة، ورواجه عند تجار العالم إلى جذب تجاراللؤلؤ إليه ، وعزوفهم عن لآلىء الخليج ، وجاء ذلك التفضيل للؤلؤ الياباني بسبب رخص ثمنه ولمواصفاته القريبة من اللؤلؤ الطبيعي ، وقتها فقط أحس تجار المنطقة بالضائقة الفعلية، أيقنوا بتأثيره الواضح وانعكاسه السيء على لآلئهم ، ففي تلك السنوات العجاف ساهم غزو هذا اللؤلؤ مع الظروف العالمية والمحيطة في مزيد من الانتكاسة والإحباط ، ولم يكن تجار المنطقة يملكون حيلة إزاء ذلك، فجل حياتهم متوقفة على هذه الأسواق وتصريف بضاعتهم التي تراكمت عليها الأزمات والنكبات من جميع الاتجاهات.



❖ قدري قلعجي (الخليج العربي) دار الكتاب العربي - مطابع دار الغد ١٩٦٥

ولعل الأقدار أبت إلا أن تزيد من الأحوال سوءا وتدهورا، وأضاف موضوع الحرب العالمية الثانية التي لم تخفت نيرانها ولم تضع أوزارها إلا مع دخول عام ١٩٤٦م بعد سنوات من العذاب والانتظار القاتل أضافت خلالها عبئا ثقيلا إلى الأزمة ، فالأسواق العالمية لم تكن مهيأة للتبادل التجاري وكل الأمور توقفت.

وكان تجار الخليج المتعاملون باللؤلؤ في تلك الأوضاع السيئة ينتظرون الفرج بتوقف تلك الحرب المسعورة، ويستبشرون بنهايتها وهي فعلا في الطريق إلى ذلك، حل عليهم خبر جديد لم يتوافق مع رغباتهم ، حيث أعلن في تلك الأثناء استقلال الهند وباكستان وذلك في عام ١٩٤٧م ، وكان هذا الإعلان بحد ذاته سببا جديدا في قلب المواجع لديهم ، حيث لم تكتمل فرحتهم بانتهاء أزمة الحرب ، واستبشارهم بعودة الأمور إلى طبيعتها وفتح الأسواق العالمية لتصدير بضائعهم، حتى فوجئوا بجمهورية الهند تصدر قرارا كالصاعقة بعد إعلان استقلالها مباشرة ، وكان يقضي بمنع دخول الكماليات إلى أسواقها ، هذا القرار شكل نكبة جديدة انتابت تجار اللؤلؤ في الخليج وما تزال ذاكرتهم تختزن تلك المشاهد المروعة التي جاءت مرادفة للحظات انتظار لوقف لهيب الحرب وما خلفته من كساد في بضاعتهم ، وتؤكد المصادر الموثقة أنه ترافق فعليا مع استقلال الهند صدور قوانين داخلية صارمة، كان من أهمها على الإطلاق منع استيراد الكماليات إليها، وإغلاق أسواقها أمام كل المجوهرات وعلى رأس القائمة خام اللؤلؤ ، وكان لؤلؤ الخليج بطبيعة الحال في مقدمة المتأثرين بهذا القرار لوجود طلب قوي عليه من تجار الهند الكبار ، الأمر الذي أدى إلى انسداد هذا الشريان الذي تعتمد المنطقة عليه في كل احتياجاتها من أسواق الهند العامرة بمختلف أصناف البضائع المألوفة لدى أهالي الخليج من مأكولات وملابس وغيرها.

الانتعاش وعودة الروح

تظل ذاكرة أهل الخليج محفورة فيها قسوة تلك الحقبة التي أصبح مورد رزقهم الوحيد سوقاً كاسدة لا أمل في إحيائها ، وذلك بغزو اللؤلؤ الياباني المستزرع الرخيص للأسواق العالمية، واضمحلال أسعار اللؤلؤ الطبيعي والتغيرات الاجتماعية التي فرضنها شح المدخول الاقتصادي على دول المنطقة ، إلى أن أفاء الله عليهم بنعمة (النفط) بعد الربع الأول من القرن العشرين ، والذي قدر لشعوب هذه المنطقة أن تهنأ بالعيش الكريم، وأن تفكر بإمعان ودقة في كرم الله وفضله ، ولا نعتقد أن بوسع أي شاعر مغرق بالخيال أن يحلم بأن مغاصات اللؤلؤ في بحر الخليج العربي، سوف تصبح بعد كساد سوق اللؤلؤ الطبيعي مصدراً للثروة النفطية الدفينة فيه، لتدر من النعمة أضعاف ما كان يدره اللؤلؤ في خليجنا الرحب ، وكل من عاصر تلك الفترة يقدر فضل الله عز وجل ونعمته على أبناء المنطقة، والنقلة الهائلة التي أحدثتها في حياتهم



وقلبت كل الموازين ، وفي ذلك أيضا قصص وحكايات ومفارقات، عندما يوردها رجال الخليج يطلقون العنان لذهنهم يسرح كيفما شاء ، ولمَ لا وقد عادت إلى كل أبناء ذلك الجيل الحياة من جديد، بعد صبر وجلد وكفاح وتحمل وكساد وانحسار، ومن تلك الحياة الجديدة بدأ المتعاملون باللؤلؤ من الخليجيين يسترجعون وضعهم ويفرضون وجودهم على السوق العالمية بأفضل وأنقى وأزهى لآلىء العالم وهو لؤلؤ الخليج العربي الذي استرجع مكانته الطبيعية بعد أن عرف العالم أهميته .

إن مهنة الغوص على اللؤلؤ تعتمد على عدد هائل من البشر، فنحو ٤٠ ألف منهم في أوج ازدهار اللؤلؤ خلال الثلاثين سنة الأولى من القرن العشرين كانوا على استعداد لقضاء الشهور الطوال في البحر مقابل أجر بخس وزهيد ، وقد كان اللؤلؤ المصدر الرئيسي الذي مكن تجار اللؤلؤ الخليجيين من السفر والترحال، وأتاح لعامة الناس الدخل الكافي للإنفاق على شراء السلع المستوردة والأغذية ، ولكن بعد مرحلة الكساد في منتصف القرن لم يتسن لغير القليل من الناس الإفلات من الفقر ورتابة الحياة في منطقتنا ، فالعديد من عائلات التجار الكبيرة في الخليج كانت لها أعمال تجارية في الهند، سواء في بومباي أو كلكتا أو كراتشي التي بها تواصلت تجارتهم ، والقليل جدا منهم من ذهب إلى أوروبا، لأنهم لم يكونوا قد اكتشفوها بعد، وأكثرهم شهرة في خوض التجربة الأوروبية في ذلك الوقت هو رجل الأعمال السعودي محمد علي زينل علي رضا، وكانت طفرة هائلة من الإقدام دفعته لتأسيس عمل تجاري له في باريس، وتم ذلك بمساعدة بعض تجار اللؤلؤ الباريسيين ، وتحولت مهنة الغوص على اللؤلؤ في الخليج إلى صنعة كاسدة بعد هبوط الأسعار الحقيقية له، ولم يعد استخراج اللؤلؤ بالطرق الحديثة كافيا لتغطية تكاليف عامليه ، وقد حاول عدد من أبناء الخليج تنظيم حملات لاستخراج اللؤلؤ، غير أنهم لم يكسبوا منها حتى ما هو كاف لتغطية تكاليف زيت الديزل الذي استعمل في قواربهم الحديثة ، ويذكر بعض الرواة أنه تمّ في قطر تمويل آخر عملية غوص عام ١٩٥٦ تقريبا ، لمصلحة الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني ، ووفق تقدير المرافقين في الرحلة فقد كان التمويل

في حدود مائة ألف ريال ، فلم يستخرجوا سوى في حدود أربعين ألف ريال ، ويستنتج من ذلك أن قاع البحر مليء بالخير إلا أن قيمة اللؤلؤ هي التي تدنت للأسباب التي ذكرناها آنفا ، وأيضا هناك محاولة أخرى قام بها الوجيه جاسم الدرويش لم تفلح ، وقد أورد بعض الرواة حكاية حول مجموعة من الأصدقاء قاموا بتأسيس شراكه في تمويل (دشة) إبان مرحلة ظهور البترول وانحسار عملية الغوص ، وذلك برأس مال قدّر بأكثر من نصف مليون ريال ، وقد استغرقت العملية حوالي خمسة وأربعين يوما، لم يستطيعوا خلالها جلب سوى ما قيمته أربعون ألف ريال فقط ، أي بمعدل ألف ريال لليوم الواحد، وهي لا تفي لسداد تكلفة البحارة والخبراء و/سلندرات الغاز.

ومن هنا رسخت لدى تجار اللؤلؤ في الخليج قناعة بأن عملية استخراج اللؤلؤ من قاع البحر كما كانت في السابق لم تعد مجزية ، بالإضافة إلى أن الرجال المتميزين في الغوص تقلصت أعدادهم، واتجه أغلبهم نحو الشركات للبحث عن الأعمال المختلفة والمغرية ، فكانت النتيجة الطبيعية لتجار اللؤلؤ الانصراف عن خوض غمار تجارب خاسرة بالبحث عن اللؤلؤ في قاع الخليج ، والتفكير بوسائل أخرى تحقق غاياتهم للحفاظ على موروثهم الغالي في ظل الوضع الجديد بعد ظهور البترول واستقرار الأوضاع العامة ، حيث انتعشت حياة الناس.

العلاقة العكسية وعوامل الانتعاش :

طوال أيام الغوص الماضية كان تجار الخليج يعتبرون من رواد أسواق الهند الكبيرة ، ففي مرحلة ازدهار اللؤلؤ كانوا يذهبون إلى تلك البلاد بهدف التسويق والتجارة ، وبعد استقلال الهند في أواخر الأربعينات، وما تبعها من قرارات صارمة ترتب عليها منع دخول بضاعتهم ، أدى ذلك إلى المساهمة في تكريس حالة الكساد ، وانقطاع التواصل بين تجار اللؤلؤ في الجانبين (الهندي والخليجي) ، وبمرور الأيام ومع عودة الانتعاش وظهور البترول، بدأ تجار الخليج بالرجوع إلى موقعهم في أسواق الهند، لكن هذه المرة ليس كمسوقين للؤلؤ بل كمشترين، بعد ان بدأت معالم النعمة تظهر على غالبية أهل المنطقة، وبالتالي بدأ تجار اللؤلؤ بالرجوع إلى اصل مهنتهم ، فاستطاعوا الوصول إلى مخازن اللؤلؤ في قاع البحر دون عناء الغوص ، فكانت قبلتهم عندئذ سوق الهند الكبيرة مقر تسويقهم الدائم والواسع، وتجار لهم مكانتهم المالية ، وتأكد ذلك بعد عودتهم إلى مواقع تسويق اللؤلؤ في الهند، وهم في حالة انتعاش حيث علامات الخير بادية على مظاهرهم ، فعند ذلك وعى تجار اللؤلؤ من الهنود هذا التغير ، فأصبح الذين كانوا يبيعونهم منذ أكثر من أربعين سنة مضت، هم ذاتهم الذين انهالوا يعرضون عليهم لآلئهم التي كانوا قد اشتروها من منطقة الخليج العربي إبان مرحلة الغوص ، فمن هنا نؤكد أن العلاقة بين الجانبين أضحت علاقة عكسية ، وهذه معادلة دقيقة نطرحها هنا للإجابة عليها وشرحها بما

يتوافق وطبيعة ظروف تلك النقلة وتبعاتها ، حيث سنجد في طياتها توضيحاً لأكثر من استفسار، لأنها مرحلة هامة جدا في حياة تجار اللؤلؤ في الخليج، ليس لتحقيق ذاتهم فحسب، بل لاسترجاع المكانة والقيمة المعنوية للؤلؤ الخليج الزاهي بعد الصيت المؤقت الذي حققه اللؤلؤ الصناعي في تلك الفترة .

وقد ساهمت في انتعاش سوق اللؤلؤ مرة أخرى في المنطقة عدة عوامل في غاية الأهمية ويمكن تلخيصها في النقاط التالية :

١- الطفرة الاقتصادية التي أحدثها ظهور البترول في المنطقة، والمتغيرات الإيجابية التي طرأت على نمط حياة تجار اللؤلؤ في تعاملاتهم ومظاهر سلوكهم .

٢- الرغبة المفاجئة لسكان المنطقة في اقتناء اللؤلؤ واستخدامه كحلي للزينة، في حين أن هذا المسلك لم يكن يوجد إطلاقا في عصر الغوص على اللؤلؤ، ولم تكن النساء يتزين بهذه الخامة إلا فيما ندر .

٣ - حرص حكام وشيوخ المنطقة قاطبة على انتهاج عادة حسنة تعتبر جديدة في أسلوب حياتهم، وهي إهداء اللآلىء لضيوفهم وزوارهم من الشخصيات الهامة، باعتباره من تراثهم وله قيمته المادية والمعنوية .

٤ - ظهور هواة جدد في جمع اللؤلؤ من أهالي المنطقة من الذين بانت عليهم مظاهر النعمة، هدفهم حفظ اللؤلؤ في خزائنهم كتراث هام له ذكريات في حياتهم .

٥ - زيادة الطلب واتساع رقعة السوق العالمية لاستيعاب الكميات الهائلة والمتنوعة من اللآلىء والمنافسة الحامية في سوق اللؤلؤ .

٦ - الوعي العالمي بالفارق الكبير بين اللؤلؤ الصناعي واللؤلؤ الطبيعي بعد مرور السنوات الطويلة على تداولهما، والاقتناع التام بجودة واصالة اللؤلؤ الطبيعي.

٧ - استعادة لؤلؤ الخليج مكانته على المستوى المحلي والعالمي وزيادة الرغبة في اقتنائه خاصة من الأوروبيين، وذلك للامتيازات التي أثبتت تجارب السنين صحتها وحقيقتها.

الوجيه حسين الفردان وذاكرة الثلاثينات

تتمثل ذكريات أيام الغوص في شظف العيش والعمل القاسي ، وكان هدف كل شخص تكديس مقادير من الغذاء أيام موسم سوق اللؤلؤ تكفي للأشهر الإثني عشر اللاحقة، وخارج موسم اللؤلؤ لم يكن يحدث إلا القليل ، وبالنسبة لمن هم ميسورو الحال لم يكن هنالك غير المجالس المستمرة، فقد كانوا يتزاورون ويشربون الشاي ، وكانت حقبة الثلاثينات من أقسى الفترات التي عاشرها أبناء المنطقة ، وهذا ما يؤكده المعاصرون لتلك الفترة ممن التقينا بهم، ومازالوا يذكرونها.

❖ كتاب (التجار.. أكبر رجال الأعمال في الخليج) - مايكل فيلد



❖ الوجيه حسين الفردان رجل الأعمال القطري يطلق تنهيدة عميقة عند ذكر تلك الأيام، حيث عاصر وشاهد بأم عينيه تأثيراتها وانعكاساتها على القوم، فلم تكن مجرد ذكريات عابرة بل كانت جزءاً من كيان شعب صمد وكابد وتحمل مشقة حياة قلما عايشتها شعوب أخرى في بقاع العالم، ومن خلال تسجيل خاص لوقائع تلك الأيام نفرد للسيد حسين الفردان مجالا في ذلك حيث يقول :-

سبّب الركود الاقتصادي في الثلاثينات عقدا مروعا من البطالة والجوع، ومع تراجع أهم مصدر من مصادر دخل الناس في الخليج العربي، باتوا أكثر فقرا، حتى مما كانوا عليه في العشرينات ، ودعني اشرح بالتفصيل واقع تلك المرحلة التي عايشت جزءاً منها، وعاصرت الرجال الذين عايشوا قسوة الجزء الأكبر منها.

ففي بداية الأزمة قام أغلب أولئك العاملين بشكل مباشر في مجال اللؤلؤ بمواصلة العمل في الغوص رغم انهيار الأسعار وتراجع دخول أغلب الغواصين الى مادون مستوى الكفاف، فلم يكن هناك شيئا آخر ليفعلوه ، أما أولئك الذين تركوا الغوص فلقد ذهبوا يبحثون عن عمل في شركة النفط في البحرين التي

❖ حسين الفردان أحد أشهر مقتني اللؤلؤ في الخليج وله أخوة في الإمارات والبحرين يمارسون الصنعة نفسها.

كانت حققت اكتشافا عام ١٩٣٢م، أو مع مجموعات التنقيب عن النفط في الكويت والسعودية. أما الذين لم يحصلوا على شيء فاستمروا مع نواخذتهم كخدم، أو عادوا الى البادية، وبعضهم مات جوعا، وبالتدريج تضاءلت أعداد المراكب العاملة في الغوص على اللؤلؤ ، وجاء عام ١٩٣٧م بصيد جيد وقليل من التحسن في الأسعار، وبعد سنوات قليلة ومع بداية الحرب العالمية الثانية أمل التجار بحدوث الانتعاش ، مثلما تزايد الطلب أثناء الحرب العالمية الأولى عندما اشترى الأوروبيون اللؤلؤ كعملية ادخارية ، كذلك تزايدت الآمال عام ١٩٤٥م، حيث كان هناك صيد جيد آخر، وزيادة طفيفة في الأسعار عائدة لقلة المخزون وللتدمير الحاصل في اليابان. ومع أواخر الأربعينات وصل عدد العاملين بالغوص على اللؤلؤ الى عشر عددهم في العقود الأولى من هذا القرن، وخلال بضع سنوات انتهت مهن صيد اللؤلؤ، وحتى لو انتعشت أسعار اللؤلؤ ما كانت لتستطيع أن تنافس العوامل الجذابة في الصناعة النفطية ، وأستطيع أن أذكر من واقع معايشتي لتلك الحقبة ومن واقع التقارير التي سجلها المعتمدون المتعاقبون إثر زياراتهم الدورية للمنطقة، أن الكساد أضر بقطر أكثر مما اضر بدول أخرى في المنطقة، فلقد نقصت العائدات الجمركية بنسبة ٥٠ ٪ وصار أغلب السكان على حافة العوز، إذ باع الناس أعمدة بيوتهم لشراء قوت يومهم، لقد شح المطر، ولم يكن الرعي الربيعي ممكنا، والكثيرون لا يملكون ما يكفي لطعامهم، والحقيقة أن القليل من المعمرين من أهل المنطقة يتذكرون الفرق في حياة الغوص في العقد الأول من هذا القرن، وبين حقبة الثلاثينات حيث هبطت دخول البعض القليل دون مستوى الكفاف ، ونحن عايشنا تلك الفترة حين اصبح وضع أهل المنطقة بائسا جدا إلى حد أنهم لم يستحملوا حياتهم ، ففي قطر على سبيل المثال قام الناس بتحطيم قوارب صيد اللؤلؤ،



واستخدموها حطبا، وأبحر بعضهم بحثا عن حياة أفضل في الهند أو أفريقيا أو أجزاء أخرى من الخليج ، وهي الفترة التي ربما حصلت فيها هجرات متبادلة بين العائلات في الخليج، واستقرت أعداد منهم في مناطق متفرقة من دول المنطقة ، ولذا لا غرابة حين نجد أسماء لعائلات في قطر توجد منها في الإمارات مثلا أو في الكويت أو البحرين أو السعودية ، وفي تلك الفترة العصيبة انتقل بعض من سكان قطر الى عدد من دول المنطقة. ومنهم من ذهب الى المنطقة الشرقية للملكة العربية السعودية آملين في إيجاد عمل لدى شركة أرامكو، وحسب أكثر التقديرات تشاؤما ،تناقص عدد سكان قطر خلال سنوات الركود الاقتصادي والحرب من حوالي خمسة وعشرين ألفاً الى عشرة آلاف نسمة ، تلك الفترة التي توثق مع أوج الحرب العالمية الثانية حلت على المنطقة أشد الأزمات وأسوأها، لقد تعب الناس وتوقف البيع في كل شيء، وكان اللؤلؤ من أهم الموارد التي انكسر سوقها فلم نجد لنا مشترياً، ورغم استمرار الغوص إلا أن الطلب عليه قل.

يواصل حسين الفردان شرحه تلك الحقبة قائلا :

لقد تحولت حياة أهالي الخليج إلى ما يشبه الجحيم، فهناك تجار كبار لم يبق لديهم درهم واحد، وأصبحت بيوتهم مرهونة، وكان العديد منهم لا يملك ثوبا نظيفا يواجه به الناس ، فكانوا يخجلون من دخول الأسواق بسبب تلك الثياب الممزقة، وقد رأيت هذه المناظر بأم عيني ، ووصلت الحالة عند كثير منهم إلى أن يبيعوا أسقف بيوتهم، وعمل عدد منهم في سفن الشحن أو ما يطلق عليه (سفار)، وكانت إمكانياتهم المادية بعد ذلك الكساد لا تتسع لجلب النذر اليسير من المواد التموينية لبيعها في البلاد بعد عودتهم ، وبربح زهيد مثل القهوة والهيل والتمر والفحم، وللأسف لا يوجد من يشتري هذه البضائع لضيق الحال ، وقد وصلت تلك المواد وغيرها إلى أدنى مستوى في الأسعار ، ومن الأشياء التي أذكرها جيدا أن التيس الكبير وصل سعره إلى روبيتين وربع وهي العملة الهندية المتداولة آنذاك ، والعنزة ومعها سخلتها بثلاث روبيات ، والبقرة الحلوب وأيضا معها عجلها ب ١٨ روبية ، ومن الأشياء التي تذكر كذلك سعر البيوت، فكانت بالفعل رخيصة ومثلها الأراضي ، ويمكن أن تذهب إلى الحاكم وتطلب أرضاً فيرسل معك (الفداوي) وهو من الحرس الخاص للشيخ، فيقوم باقتطاع أرض (٥٠ × ٥٠) ذراع أو (١٠٠ × ١٠٠) ذراع دون مقابل ، كل ما عليك هو إرضاء الفداوي بروبيتين كأتعاب له ، ولا توجد مستندات أو أوراق رسمية سوى أنك تملكها بأمر الشيخ ويقوم الأهالي ببنائها كل حسب إمكانياته ، وكانت (الدعون) وهي حزمة من عصي النخيل المجفف مرصوصة بحبال تستخدم في بناء المنازل أو /العريش/ ، تباع مع جذوع النخيل والحبال بأسعار رخيصة جدا، ولا تكلف في مجملها أكثر من روبيتين أو ثلاث ، وكانت نسبة الأرباح زهيدة ولا تذكر .

وقد أثرت تلك الحالة على تجار اللؤلؤ وأنا منهم ، وبقينا نعتمد على الذين يأتون من أوروبا ، ومع مرور الأيام رأينا تجاراً هنوداً يبحثون عن اللآلىء هنا في بلادنا، ولكن بأسعار متدنية تماما ،ويختارون الأنواع المتميزة فقط ، وفي المقابل لم يكن باستطاعتنا الذهاب إليهم في بلادهم بسبب القوانين الصارمة التي أصدرتها حكومة الهند بمنع دخول الكماليات إليها ومنها لؤلؤ الخليج الطبيعي ، ومع ذلك لم يكن التجار الهنود في ذات الوقت يشترون اللؤلؤ بكميات وافرة ، بل كانوا يشترونه بكميات محدودة بسبب الرقابة التي يخضعون لها ، وكانوا إضافة إلى ذلك يختارون الأنواع الفاخرة كما كانت تتم في كثير من الأحيان عملية

تهريب لإدخالها الى الهند، وفي تلك الفترة العصيبة بدأ الطلب على اللؤلؤ الطبيعي يتراجع ويتقهقر ، وجاءت هذه النكسة متزامنة مع أوضاع الحرب العالمية الثانية وظهور اللؤلؤ الصناعي وانحسار قيمة عمل الغوص بسب الفقر وعدم وجود مشترين لهذه السلعة الوحيدة كمصدر للحياة في المنطقة .

سنة العسرة :

لقد عاصر حسين الفردان جزءا هاما من تلك الحياة القاسية، ويشير في هذا الصدد إلى أن الظروف التي اجتمعت في حزمة واحدة على أبناء المنطقة في تلك الحقبة الكالحة السواد، أدت إلى ظهور حالات غريبة ومواقف غير مألوفة، ومشاهد مازالت عالقة بذاكرة الناس، عن فظاعة المجاعة والبؤس والفقر التي صاحبت تلك المرحلة المخيفة في حياتهم ، وقد أطلق الناس على تلك الفترة لقسوتها أسم (سنة العسرة) .. ولم تمر تلك الأوضاع دون أن تترك بصمتها على الحياة العامة، وعلى الشعر والأدب الشعبي، فهذا الشاعر زيد بن عبد الله الحرب يصف حال الناس وما حل بهم من بلاء بسبب ضيق العيش من جراء كساد تجارة اللؤلؤ، وهذه مقتطفات مما قاله في هذا المجال :

تجارنا عقب المعرفة نسونا — **زل الشتا يا حمود ما سقمونا**
نشكي العرا والجوع ويا المذلة — **ونركض بخدمتهم سوات البنابيس**
وين القماش اللي من الدر جبنا — **الله عليهم وان كلوا ما تعبنا**
قماشنا في الهند والله طايح — **وحنا غدينا بين شاني وصايح**
هذي السنة صارت علينا فضايح — **أنتم تبون افلوس واحنا مفاليس**

ويستشهد بأبيات أخرى لشاعر قطر الشعبي المرحوم سعيد بن سالم البديد، يصف في بعض أشعاره تلك السنة التي كسدت فيها تجارة اللؤلؤ، ويقول أنها سنة عسيرة شابت لها الروس وهذا بعض مما قاله :-

هذه السنة سنة الوحل والطلايب — **فيها تبين كل أمر عجايب**
كم صبي شاب واليوم شايب — **من جور سنة كشفت كل مكنون**

تجار لؤلؤ يهود استغلوا ضعفنا :

يواصل حسين الفردان حديثه قائلا :

أثناء تلك الفترة تحرك عدد من تجار اللؤلؤ اليهود من فرنسا ودول أوروبية أخرى ، ولدينا أسماء معروفة تغلغلت في منطقة الخليج مستغلين ضعف الناس وهبوط أسعار اللؤلؤ الطبيعي، وهم (فيكتور روزنتال) وهو تاجر يهودي من فرنسا يتكلم العربية، وله محلات في باريس والبحرين وبومباي ولندن،



ويشتري اللؤلؤ بنحو أربعة ملايين روبية ، و(البيرت حبيب) وهو أيضا فرنسي يهودي عنده محلات في بومباي والبحرين وباريس، ويتكلم العربية، ويشتري اللؤلؤ بنحو ثلاثة ملايين روبية ، وهناك أيضا من التجار الغربيين المعروفين لدينا (يعقوب صوفير) وهو أيضا تاجر يهودي له محل في البحرين ، وأيضا من (البانيان) تاجر هندي لديه محل في البحرين ، وهناك أسماء أخرى مثل (بول باك) و (ديفيد بينفيلد) ، وكانت هذه المجموعة من التجار الأجانب تحضر الى البحرين التي كانت تعتبر أهم مراكز اللؤلؤ في الخليج العربي وأكثرها عالمية، كما كانت أكثر غنى من المدن الأخرى ، وفيها جاليات غنية من التجار الهنود والفرس، عملوا سماسرة لسوق اللؤلؤ في الخليج، وتعد البحرين ودبي السوق الرئيسي للؤلؤ ، والمرسى الذي تتردد عليه السفن البخارية بانتظام أكثر من غيره ، والميناء الذي تمر عبره معظم الواردات الى البر الرئيسي ، وكان لهم مندوبون، فيأتي روزنتال مثلا فيبدأ من دبي بعملية جمع أفخر أنواع اللؤلؤ ، ثم ينتقل إلى البحرين ويقوم بنفس العمل، فيشتري افضل الأنواع بأسعار رخيصة مثل الجي ون وشيرين النواعم وغيرها ، ويصدرها لأمريكا عن طريق فرنسا ، ونحن لا نملك ما نقوله، بسبب أننا لا نجد المشتري المناسب، فكثير من التجار من شدة العوز لا يترددون في بيع أي شيء في حوزتهم لمجرد أن يطعم أهله ، وللمزيد من التوضيح والشرح فإن أول من وصل إلى المنطقة من تجار أوروبا هم من الفرنسيين، باعتبار أن باريس هي مركز تسويق اللؤلؤ لأوروبا ، وأنا شخصيا لا أذكر أن تجار لؤلؤ من إنجلترا أو ألمانيا جاؤوا إلينا، وفي سنة ١٩٤٨ م كان يسكن في مجلس عمي تاجر أمريكي، ويضغط على نفسه بتقبل الظروف البدائية التي كنا نعيشها، من أجل شراء أكبر قدر من اللآلىء الطبيعية الفاخرة ، ومن الأمور التي لا تغيب عن ذهني

الأسعار المتدنية التي كان هؤلاء التجار يدفعونها، فسعر بعض الدانات من (الجي ون) الفاخر تدنى سعر (الشو) فيه إلى ٥٠ روبية هذا الذي كان الشو يباع في عز ازدهار اللؤلؤ ب ٥٠٠٠ روبية كذلك فقد بيع (الشو) من (اليكة) المخلوطة ب ١٥ روبية هذه الخامة التي بيعت بهذا السعر كانت تباع قبل الكساد ب ٤٠٠٠ روبية ، وكان (المثقال) من النواعم يباع في فترة الكساد ب ٧ روبيات وكانت هي نفسها لا تباع بأقل من ١٠٠٠ روبية ، فقد تدنى سعر المثقال إلى ٧ روبيات ، فواضح بلا شك تباين الأسعار بين الفترتين، والأدهى والأمر من ذلك، أنه لا يوجد مشتر لأنه لا يوجد من يملك المال حينذاك، وكان سعر (الشو) في أفخر أنواع اللؤلؤ وهو (الجي ون) في عز أيام اللؤلؤ ب ٥٠٠٠ روبية ولا يحصل، وبعد الكساد وصل (الشو) من هذا النوع إلى ٤٠ و ٥٠ روبية. إنه شيء لا يصدق ولكن هذا الذي حصل ، وسارت الأمور بين الناس على بركة الله بسبب عدم وجود عمل آخر يؤدونه ، فظلت الحياة في دول الخليج هادئة خالية من الإثارة على مدى ثلاث سنوات بنفس الرتابة. حيث يبحر معظم الرجال الى الغوص على اللؤلؤ عند نهاية مايو، ويعودون بعد انقضاء أربعة أشهر وعشرة أيام ، وفي الخريف كانوا يبيعون ما حصلوا عليه من لؤلؤ والذي بالكاد يمكّن الجميع من غواصين وملاحين وتجار لؤلؤ وبنائي القوارب ومستوردي الأغذية من تسوية حساباتهم ومن شراء الإمدادات الجديدة ، أما خلال العام فهناك الروتين اليومي المتمثل في صيد السمك وزراعة القليل من الحبوب وعودة أهل البادية الى مواطنهم لرعي الإبل والأغنام.

الانطلاق من السوق المحلية :

وبرؤية الخبير العارف ببواطن الأمور يواصل الوجيه حسين الفردان شرح واقع الحياة إبان تلك المرحلة الهامة من عمر خليجنا المعطاء فيقول:-

أحدثت الطفرة الاقتصادية بظهور البترول حالة جديدة في وضع المجتمعات الخليجية، وأصبح لدينا مشترون للؤلؤ، ونستطيع أن نبيع بالملايين خلال السنة، لان الثروة أوجدت من يقتني اللؤلؤ، ويرغب في استعماله حاله حال أي نوع من الأحجار الكريمة، فازداد الطلب عليه محليا في بادئ الأمر ، فبعد أن عمت الثروة وكثرت الفلوس لدى أهل المنطقة، تولدت لديهم رغبة حب اقتناء اللؤلؤ، وهناك حقيقة تستوجب الإشارة إليها، إذ إن طوال أيام عمر الغوص في الخليج لم يكن أحد من الناس في هذه الدول يقتني اللؤلؤ للزينة إلا فيما ندر، وبالكاد تجد عند بعض العائلات الكبيرة خاتم مزين بلؤلؤة طبيعية ، فعندما بدأت مظاهر النعمة تظهر على الناس، صاروا يرغبون في اقتناء اللؤلؤ واستخدامه كمجوهرات لنسائهم، وذلك كمظهر من مظاهر الترف، لذلك كانت أولى انطلاقتنا هي الأسواق المحلية، وأول من بدأ في شراء اللؤلؤ محليا هم الحكام وشيوخ المنطقة، فوجدنا تشجيعا لتسويق لآلئنا من الحكومة، فاقبلوا على شراء اللؤلؤ من عندنا بكميات كبيرة، لأنهم اعتبروه من تراثهم الذي تجب المحافظة عليه واقتناؤه، بل ومن فرط اعتزازهم به أصبح حكام المنطقة يشترون اللؤلؤ الطبيعي ويحتفظون به لإهدائه ضيوف البلاد من الدول الأخرى، فلم تعد هداياهم من المواد المستوردة كالسجاد الأعجمي أو الساعات أو غيرها من تلك الهدايا، بل كان اللؤلؤ



الخامة المستحبة لتقديمها لضيوف البلاد ، في تلك الفترة كما يؤكد تجار اللؤلؤ الخليجيون وأنا منهم، لم نجد أي معضلة في تسويق لآلئنا في داخل حدود منطقتنا ، فشيوخنا وتجارنا في الخليج دائمو السؤال عن اللؤلؤ ، في قطر في الإمارات جميعها نجد مشترين ، في البحرين نجد السوق عامراً بالتجار والمشترين ، الكويت بها من التجار والأغنياء الذين لا يترددون في الدفع دون حدود لأفخر اللآلىء، بل وانعكست هذه الرغبة أيضا على أمراء الرياض بالمملكة العربية السعودية الذين لم يسبق لهم التعامل مع اللؤلؤ. فأصبح لديهم وعي لقيمة لؤلؤ الخليج، وهذا بدوره ساهم في زيادة الطلب على لآلىء الخليج وانتعاش السوق، فلأول مرة يتم مشاهدة أمراء السعودية يأتون إلى أسواق البحرين وأسواق قطر بهدف السؤال عن الأنواع الفاخرة للؤلؤ، فيشترونها بأسعار مرتفعة في ظل بداية الطفرة وانتعاش الأحوال المادية في الخليج ، ورغم أن أهالي جدة يعملون في البحر ولديهم مغاصات يستخرجون منها اللؤلؤ ويأتون إلى جهة خليجنا العربي لتسويق بضائعهم، لكنهم لا يتعاملون به ، وإن كانت الأيام السابقة لا تخلو من المشترين في الأسواق الخارجية إلا أن البيع لا يضاهي ما نبيعه في الوقت الحالي ، مع الوضع في الاعتبار فارق القيمة الشرائية للعملة السائدة في كلا الفترتين ، وكان تاجر اللؤلؤ في أيام الغوص على اللؤلؤ إذا قدر له بيع ما يقارب بـ٤٠٠ الف روبية في السنة، فإنه يكون حديث الناس كلهم ، أما الآن فإن تجار اللؤلؤ تصل مبيعاتهم في كل الأحوال إلى حدود عشرة ملايين ريال في السنة سواء على شكل قلائد أو عقود أو حلي أخرى .

التاريخ يعيد نفسه بطريقة عكسية :

يواصل الفردان وصفه لتلك المرحلة قائلا:

لقد تحولت الحياة في المنطقة، وتغير نمط سلوكها التجاري، لذلك عندما كثر الطلب على اللؤلؤ الطبيعي وانتعش سوقه، ووجدنا أننا في حاجة إلى لم المزيد منه، اندفعنا كتجار ممارسين لهذه

الصنعة نحو سوق الهند فركزنا على شرائه من الأشخاص الذين كنا قد بعناهم إياه، وهم بدورهم يجمعونه من مصادرهم ، ونفس اللؤلؤ الذي كانوا قد اشتروه من الخليج أو من مناطق ثانية في الهند يبيعونه لنا ، وكأن التاريخ قد أعاد نفسه ولكن بطريقة عكسية ، من هنا انتعش سوق اللؤلؤ في الهند مرة أخرى وتوافدت أعداد كبيرة من أهالي الخليج يشترون (القماش) بشكل متواصل ، وقد كنا نتواجد كرجال لؤلؤ من الخليج سواء كتجار أو سماسرة أوغيرهم في العاصمة بومباي ، حيث استطعنا أن نتغلغل في أعماق الهند ، وتمكنا بذلك من استنزاف السوق بأكمله من خام اللؤلؤ الطبيعي ، بعد ذلك اتجهنا إلى الأسواق الأوروبية التي تزخر بلآلئ الخليج أيضا ، لأن الهنود هم الذين سوقوا لؤلؤ الخليج إلى أوروبا، باعتبار الهند من أكبر أسواق اللؤلؤ في ذلك الوقت ، ومباشرة اتجهنا نجلبها من أسواق لندن وباريس وسويسرا وإيطاليا ، وبدأنا نشتري لآلئنا بواسطة المصادر ذاتها، من خلال علاقاتهم المستمرة مع زبائنهم في أوروبا ، وفتحوا لنا المجال لحضور المزادات الخاصة ببيع اللؤلؤ، إلى أن لفت هذا الاندفاع من تجار الخليج نظر الأوروبيين، ففطنوا لكثرة ترددنا على هذه المزادات والدخول في أسواق اللؤلؤ للشراء بشكل متكرر وبالأسعار التي يحددونها ، فاللؤلؤة التي اشتروها ب ١٠٠٠ ريال مثلا كنا ندفع فيها في بعض الأحيان مبلغ عشرة آلاف ريال ، عندها بدؤا في رصد تحركاتنا، وعمدوا إلى رفع أسعار قيمة اللؤلؤ في أسواقهم ، لكن ذلك جاء بعد أن بدأ اللؤلؤ الطبيعي الذي نبحث عنه يقل في أسواقهم، في الوقت الذي بدأ يظهر الوعي لديهم بالقيمة المتميزة للآلئ الخليج، فصاروا هم يبحثون عنه لاقتنائه والتعامل معه .

لؤلؤ الخليج هو الأفضل :

ويؤكد الفردان من خلال سرده عن تلك المرحلة قائلا :

من هنا تفتحت عيون الغرب وعرفوا الفارق بين اللؤلؤ الطبيعي واللؤلؤ الصناعي أو المستزرع ، وتيقنوا من جودة مستوى لؤلؤ الخليج وأنه من أفخر الأنواع على المستوى العالمي ، فهناك لآلىء طبيعية تستخرج من مناطق كثيرة، حتى في الهند هناك بحار يستخرج منها اللؤلؤ ناحية جاوة أو تتكوري ، وهناك لألىء طبيعية تستخرج من فنزويلا ومن استراليا ومن مناطق في البحر الأحمر ، لكن وبشهادة خبراء اللؤلؤ فإن لؤلؤ الخليج هو الأفضل على كافة مستويات اللؤلؤ قاطبة ، ولوحظ من التجربة أن لؤلؤ الخليج له صفة المحافظة على شكله ونضارته كلما قدم به الزمن، وهذه الصفة تأكدت لدى الغرب بعد أن تيقنوا من التغيرات التي أصابت القشرة الخارجية للؤلؤ الصناعي واكتشافهم لعدم مقاومته والصمود أمام تقدم الزمن، لذلك فإن تجار اللؤلؤ عندما اقتنوا اللؤلؤ الصناعي في الماضي تصوروا أن له نفس مواصفات اللؤلؤ الطبيعي، ولكن مع مرور العمر انكشفت حقيقته، وبدأ لونه يتغير و(يملح) بل يموت وينطفئ شيئا فشيئا، ويتأثر شكله مهما، حاولوا المحافظة عليه ، وعلى هذا الأساس فاللؤلؤ الطبيعي يزداد سعره مع مرور الزمن، إذا

روعيت فيه عوامل الحفظ، وهذا شرط رئيسي لضمان عدم تلفه. فهناك وسائل تقضي على اللؤلؤة مهما كان عمرها ونوعيتها ومقاومتها، ومن تجاربنا فقد وجدنا الفارق بين اللؤلؤ الذي جمعناه من الدول الأوروبية، وذلك الذي تم جمعه من الهند، بأن الذي في أوروبا أفضل ومتماسك ومحافظ على هيئته رغم مرور الزمن عليه ، بسبب أن الجو البارد في أوروبا ساهم بشدة في المحافظة على خامة اللؤلؤ ، بينما تأثرت كثيرا بجو الهند الحار .



الجو والعطور تقتل اللؤلؤة :

يشير خبراء اللؤلؤ إلى أن اللؤلؤ الحقيقي يتأثر بطبيعته بعاملين مهمين، أولهما عامل (الجو)، فلا بد أن يحفظ في مكان بارد، ولا يتعرض للحرارة أو للهواء الطلق خاصة في منطقتنا في آسيا حيث الرطوبة والحرارة المرتفعة أغلب شهور السنة ، والعامل الآخر هو (الروائح والعطورات) وبالأخص /دهن العود/ و /دهن الورد/ فهذه الروائح بالتحديد تعتبر كالسم بالنسبة للؤلؤ، فهو يفرقعه ويكسره تكسيرا شديدا بحكم حرارته غير المناسبة أو المتوافقة مع خام اللؤلؤ، فإذا ما توفرت الحماية من هذين العاملين للؤلؤة، فإنها تبقى محافظة على شكلها مئات السنين.

وفي هذا الصدد يقول تاجر اللؤلؤ حسين الفردان في أسلوب رومانسي مفعم بالعاطفة الجياشة تجاه هذه الساحرة التي يطلق عليها اللؤلؤة فيقول :



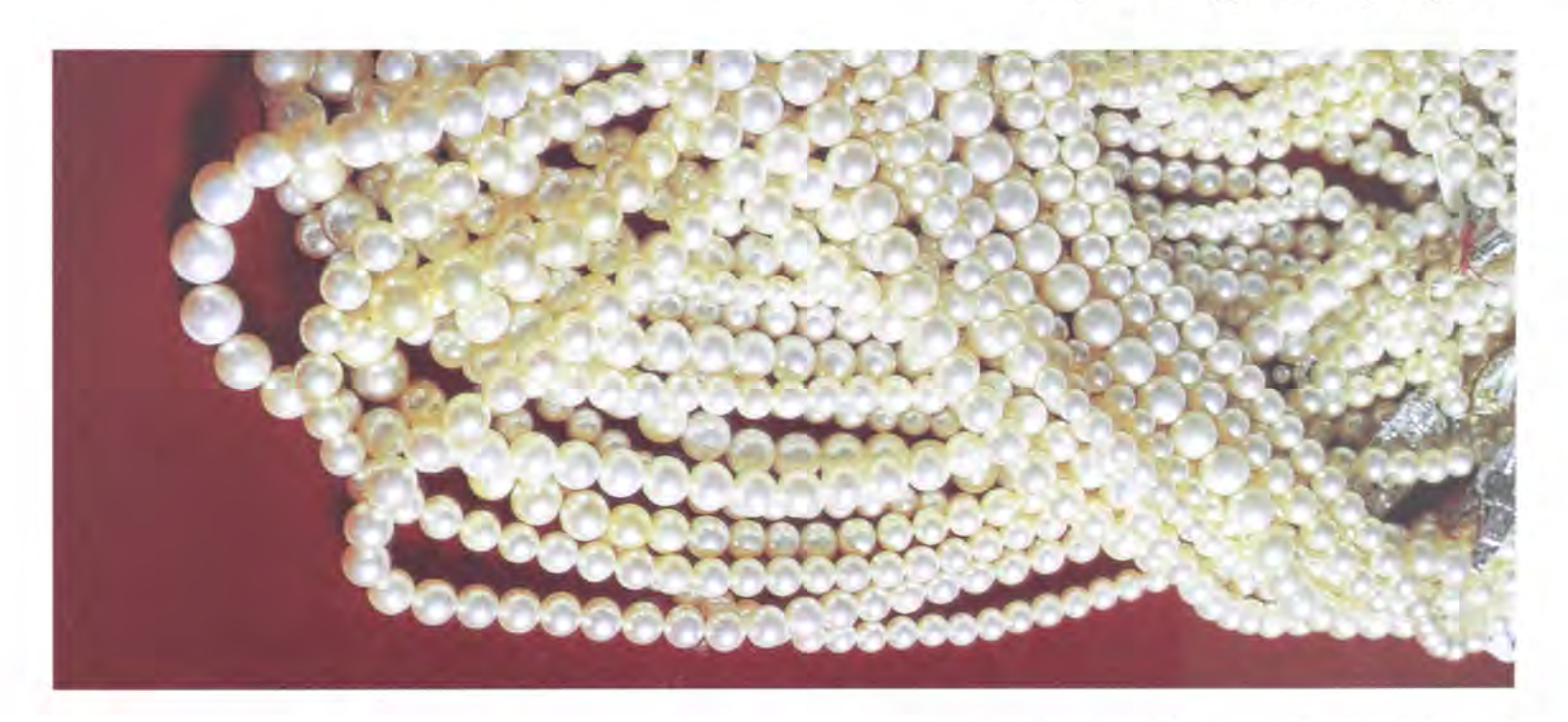
لدي من النوعيات ما تجاوز هذا العمر وأفتخر بها، ولا أجد رغبة في التفريط بها بأي حال من الأحوال ، لذلك كنت من أكثر المندفعين في جمع لآلىء الخليج المبعثرة في أسواق العالم التي تمكنت من سبر أغوارها والدخول في دهاليزها ومخابئها للعثور على صيد من هذه اللآلىء تكون شاردة عند من لا يستحقها، أو واقعة في يد من لا يعرف قيمتها أو مكنوزة في غير مكانها، وعبر هذه الجولات كانت ترافقني خصلة الخبرة والحب الحقيقي لهذه الخامة التي أعرفها بمجرد النظر إليها، وأميزها عن غيرها بمجرد اللمس، ويصاحبني في جولاتي تلك أصدقاء عمري، ومن كانوا في مستواي في هذه المهنة، فلم نترك باباً من أبواب بيوت المجوهرات إلا طرقناه، واضعين في اعتبارنا ونحن نجوب تلك الأسواق الحذر من الوقوع في أساليب الغش الذي لا تخلو منه أسواق المجوهرات.

مختبرات عالمية لكشف الغش :

ومن حصيلة صولاته وجولاته وتجاربه الخاصة في عالم اللؤلؤ نقف مع حسين الفردان لنقتطف لمحة سريعة في هذا المجال فيقول :

نحن لا نشتري إلا من مصادر معروفة ، ففي عرف تجار اللؤلؤ أن السمسار الذي أعطيته حلالك لا يمكن أن يلمس شيئاً منه، فإذا سولت له نفسه أن يلمس شيئاً من هذا الحلال فإن باقي التجار يقاطعونه ولا يتعاملون معه، ويصبح منبوذا من هذا المجتمع، ولا يقربونه نحوهم. واللؤلؤ الطبيعي عندما نشتريه ونشعر بشكوك، نقوم على الفور

بتحويله إلى مختبرات عالمية للأحجار الكريمة ، وحدث أن كنت في أحد الأيام في مدينة هيوستن الأمريكية ، وكان معي في تلك الرحلة صديقي الراحل الشيخ على بن جبر آل ثاني /رحمه الله/ ففوجئنا بأحد سماسرة اللؤلؤ يتصل بي ويعرفني بنفسه، ويعرض عليّ كميات متوفرة لديه من اللؤلؤ الطبيعي بأشكال وأنواع مختلفة ، وفعلا جاء إلينا في الفندق، وقدم ما لديه من كميات مدعومة بشهادات موثقة، ومع ذلك لم نثق به وعرضنا ما أعجبنا منه على مختبر في نيويورك يعتبر أكبر مركز لفحص المجوهرات يطلق عليه اسم (جى.أي.إيه) واشترينا منه المطلوب بعد الفحص ، كما توجد مختبرات أخرى في بريطانيا وفي فرنسا بالإضافة الى مختبر آخر لفحص اللؤلؤ يوجد في دولة البحرين ، وقبل هذا المختبر كنت قد أنشأت أنا شخصيا في تلك الفترة مختبراً لفحص اللؤلؤ في الدوحة عاصمة دولة قطر، وقد كلفني ملايين الريالات، وبسبب عدم وجود إقبال على فحص اللؤلؤ، اضطررت إلى إقفال المختبر متعهداً بألا أكرر تلك المحاولة .



قصة عقد ثريا ولؤلؤة كارتيير :

في زمن الطفرة وتداعياتها حدثت حكايات وقصص لم تخطر ببال أكثر العارفين بطبيعة المنطقة، فرضتها تلك التحولات والاتصالات المنفتحة مع العالم الخارجي الذي أتاح أجواء مختلفة عن طبيعة الناس هنا، وما ألفوه في حياتهم السابقة ، الأمر الذي أحدث في جوانب المجتمعات الخليجية خلخلة، امتدت لتمس جوانب هامة من تراثهم وعاداتهم وتقاليدهم ، وفي تلك الأيام كانت الأساطير الشعبية قليلة، وعالم نجوم السينما كان في مرحلة انتقالية، والتلفزة لم تكن قد صنعت نجوما بعد ، وكان العالم لا يزال على براءته الأولى، وكانت قصص العشق والغرام في أرفع المستويات الاجتماعية ، من هنا وما إن أعلن عن زواج شاه إيران محمد رضا بهلوي من ثريا أصفند ياري الفاتنة الإيرانية حتى شهق هواة الأخبار الاجتماعية، وصارت ثريا بالنسبة إليهم نجمة ما بعدها نجمة ، وكانت حكاية حبهما بدأت أواخر العام ١٩٥٠ م، بعد أن كان الشاه قد طلق زوجته الأولى فريدة شقيقة الملك المصري فاروق، يومها أرسلت للشاه صور لثريا التي كانت تدرس في لندن وكانت في الثامنة عشرة من عمرها، فأعجب بها، ووصلت إلى طهران، وقابلت الشاه الذي هام بها على الفور، فكانت الخطبة ثم الزواج ثم (الطلاق) الذي وضع نهاية لواحدة من أجمل قصص الحب في سنوات الخمسين.

وقصة زواج ثريا من الأحداث التي لا تغيب عن بال من عايش تلك المرحلة ومن تعامل مع معطياتها، عندما أعلن على الملأ مراسم العرس الإمبراطوري الأسطوري ، وكان من ضمن استعدادات مراسم الزواج الإعلان عن صنع عقد من اللؤلؤ لثريا، يتناسب ومكانتها في قلب الشاه ، هذا العقد الأسطوري أحدث الإعلان عنه ضجة كبيرة في المنطقة وخاصة بين تجار اللؤلؤ الذين انتهزوا هذه الفرصة الذهبية وسارعوا إلى عرض ما لديهم من لآلىء نادرة وبأسعار مغرية ، وقد اعتبر جمع هذا العقد وتوليفه من أسواق العالم من معجزات القرن ، وقد آل في نهاية الأمر إلى الأميرة ثريا التي ضاعت في أتون الغرب ، وضاع معها كل ما تملك من أغلى مدخراتها، ومن بينها هذا العقد الأسطوري .. وتأتي الصدف ليحط هذا العقد رحاله في آخر الأمر عند السيد حسين الفردان الذي زاحم واجتهد للفوز به واقتنائه من أسواق مزادات اللؤلؤ.

هذه قصة عقد ثريا التي يرويها حسين الفردان بالتفاصيل الموثقة مع قصة أخرى عن لؤلؤة نادرة التقطها من اشهر ماركات المجوهرات العالمية هي شركة (كارتيير) الفرنسية، ودخل معها في مجادلات لاقتناء هذه اللؤلؤة، حتى استطاع الفوز بها، وهي من اللآلي القيمة عنها يقول :

كنا في فترة انتعاش سوق اللؤلؤ بعد ظهور البترول، وعملية البحث عن لآلئنا لا تزال في استمرار وتواصل ، يحدث بين الفترة والأخرى أن يعلن عن زواج أحد أبناء المشاهير أو الأغنياء سواء هنا في المنطقة أو في أي من بقاع العالم التي تقدّر قيمة اللؤلؤ ، فعند زواج أبناء حكام المنطقة مثل دبي أو أبو ظبي أو البحرين أو قطر فإن مشتريات الجواهر يرتفع سعرها، حيث تقدر أحيانا بأكثر من ٢٥ مليون ريال وأغلب محتوياتها من اللؤلؤ ، ولأن الطلب في ازدياد على هذه الخامة في هذه الظروف، فإن العرض لا يكون بمستوى الطلب، وحتى البحر لم يعد يعطي إلا القليل من كنوزه، فلا نستطيع توفير المطلوب بشكل واف، ومن تلك الأعراس التي لا تنسى زواج شاه إيران محمد رضا بهلوي من الأميرة ثريا عام ١٩٥٠ م، فبعد إعلان الخطوبة طلب شاه إيران من شركة عالمية مشهورة في إيطاليا يطلق عليها (بول جري) أن تبدأ بصناعة عقد وتاج وتراكي «قرط» من توليفة خاصة من اللآلىء الطبيعية يحتوي على (سجاني) متجانساً، على اعتبار أن ملكة بريطانيا آنذاك عندها الشيء نفسه، ليس بالتمام ولكن بموديل متقارب لفكرته ، وحاولت الشركة المعنية إتمام الصفقة والبحث في دهاليز العالم عن أنواع اللآلىء التي تولّف هذا النوع المطلوب ، واستمروا سنوات ولم يستطيعوا إكماله وأخيرا تمكنوا من صنع الكراون وهو(التاج)، لكن باقي القطع لم يتمكنوا من إتمامها لعدم توفر اللآلىء المطلوبة في أسواق اللؤلؤ عامة ، فهم من سوء حظهم تمكنوا من توفير الألماس من أسواق باريس ولندن وهونج كونج، ولكن اللؤلؤ تعثروا في إيجاده رغم كل المحاولات المستميتة ، وهذا دليل آخر على أهمية اللؤلؤ الطبيعي، وصعوبة التفريط فيه ، وقصة ارتباط شاه إيران بثريا معروفة. فكانت مثل حكاية السندريلا في حينه ، ولكن تماما

كما تنتهي الحكايات الجميلة نهايات سيئة، كان لا بد لحكاية ثريا أن تنتهي ذات يوم ، لأنها لم تتمكن من أن تنجب له ولي عهد يرث عرشه من بعده، فكانت أمام خيارين، إما أن توافق على زواجه من امرأة ثانية أو أن توافق على الطلاق ، فكان أن اختارت الموقف الثاني، وكان الطلاق الذي لم تبرأ ثريا من آثاره، فهامت مشردة في أوروبا حتى وصل بها الأمر إلى التمثيل في فيلم سينمائي، وضاعت منها كل مقتنياتها الثمينة من جواهر وحلي ولآلئ ، وبعد عشرين سنة من طلاقها عرض عقد اللؤلؤ الذي اعتبر أعظم هدية من الشاه إلى محبوبته الفاتنة ثريا في مزاد دولي، حضرت أنا شخصيا مع خالي حسن مكي (رحمه الله) وقائعه، وبعد مساومات ولتقديرنا لقيمته المعنوية قبل المادية، ارتضينا شراءه بالسعر الذي توقف عنده في المزاد العلني والذي أقفل على ٧٠٠ ألف دولار ، ودفعت أنا النصف وخالي النصف الآخر، وأحسسنا بزهو لاقتنائه، خاصة ونحن نعرف قصته وأن كل من سيتعرف عليه سيدفع فيه أكثر، لأننا نملك عيوناً ثاقبة وخبرة في التقييم لا تخيب ، واحتفظنا به لسنوات قصيرة، وعندما أردنا التخلص منه لم نجد السعر الكبير الذي نحلم به فاضطررنا لبيعه بسعر مضاعف أي بمليون ونصف، والذي اشتراه هو الشيخ حمدان بن راشد ال مكتوم شقيق حاكم دبي الحالي وأعتقد أنه محتفظ به إلى الآن، ولا أتصور أنه سيفرط به بسهولة.



أما الحكاية الأخرى والتي نهدف من سردها إلى التدليل على أن اللؤلؤ الطبيعي إذا وجد البيئة المناسبة، لا يتأثر شكله ولو بقي مئات السنين محفوظا في مكانه، فهي حكاية حدثت وقائعها في مزاد علني خلال معرض للمجوهرات عقد في دبي في السبعينات، وكنا في عز نشاطنا في السوق، ووقعت أعيننا على لؤلؤة غريبة ومشعة مركبة على خاتم، فطلبنا رؤيتها، فأحضروها مع شهادات تثبت أنها مملوكة لشركة (كارتيير) العالمية المعروفة، ومحفوظة في علبة مختومة باسم الشركة، وموضح في الوثيقة الرسمية أن عمر اللؤلؤة أكثر من /١٢٠/ سنة، فأخذنا نقلبها وعرفنا أنها من نوع ال (جي ون) الكامل وفي حالة جيدة جدا، ولكن من النوع الصغير، فبدأنا المساومة معهم، وحاولوا إغراءنا بالتغليف الفاخر المرفق مع اللؤلؤة، وباسم الشركة المدموغ عليها وبالخاتم المركبة عليه ، فرفضنا كل تلك الإغراءات، وقلنا نحن لا نريد سوى اللؤلؤة خالية من كل تلك المرفقات ، وبعد شد وجذب وافقوا على بيعها ب (ثلاثة ملايين دولار) وتمت الصفقة ، وهذه من اللآلىء النادرة التي أحتفظ بها، ولا أخرجها إلا فيما ندر، وهي في حد ذاتها لم تتداولها أيد كثيرة رغم قدم عمرها وشركة (كارتيير) محتفظة بسندات المبيعات التي تثبت استقرارها في مكان بارد ولم تتعرض طوال عمرها المديد لعوامل التلف.

مكانة اللؤلؤ الطبيعي :

هذه الحكايات وغيرها تعطي بلا شك انطباعا مؤكدا عن مكانة اللؤلؤ الطبيعي الذي يمثل لؤلؤ الخليج الجانب الأهم منه، تفسر سر الرجوع إلى اقتنائه والتخلي عن اللؤلؤ المستزرع أو الصناعي كما يطلق عليه .. لذلك فعندما جاء اللؤلؤ الزراعي ليحل محل اللؤلؤ الطبيعي، كانت النتائج مع مرور الزمن عكسية ، فبدلاً من النيل من اللؤلؤ الطبيعي، كما هو مفترض، أعطى اللؤلؤ المستزرع قيمة مادية إضافية وعالمية إلى لؤلؤ الخليج العربي الطبيعي المطلوب حالياً بقوة في الأسواق العالمية.

ركائز الغوص
على اللؤلؤ:

- ◁ الغواصون
- ◁ الطواشون
- ◁ الخبراء
- ◁ الطرب البحري
- ◁ القلافون

الوالد سعيد بن سالم البديد :

في هذا الجانب نستعين بالوالد سعيد بن سالم البديد المناعي❖ ، صاحب الخبرة العميقة في هذا المجال لوصف حياة الغوص إبان تلك الحقبة ، حيث عمل في البحر منذ صغره (رضيفا) ثم (غيصا) وتدرج في مراتب الغوص حتى أصبح نوخذه، بعد أن كسب خبرة ومهارة غير عادية ، وبعد ثلاثة وعشرين عاما من العمل نوخذه في سفن الآخرين، اشترى سفينة خاصة به، وتواصل عمله لحسابه إلى مرحلة كساد مهنة الغوص على اللؤلؤ في المنطقة .. ويعد الوالد سعيد البديد من جيل المخضرمين الذين عاصروا مرحلة ما قبل النفط بكل شقائها وتعبها، ومرحلة ما بعد النفط التي عايشها بروح الواثق والمجرب الذي يعتمد عليه كمرجع في أمور الغوص والسفر.. بالإضافة إلى ممارسته الطب الشعبي الذي اشتهر به كأفضل من يقدم الوصفات الطبية الشعبية وخاصة (الكي) ، كما أن له تجاربه الخصبة في مجال الفنون الغنائية الشعبية وفنون الشعر، فهو شاعر شعبي خليجي صدر له ديوان شعبي بعنوان (ديوان المناعي) عام ١٩٨٨م.



❖ ولد سعيد البديد في مدينة الدوحة بدولة قطر سنة ١٩١٦م / ١٣٣٤ هجري ، وتوفي في يوم



وحول الغوص وأهواله نبحر مع الوالد سعيد البديد في محيط ذكرياته الواسع، لنحط رحالنا معه عند كل مرسى، ليشرع في سرد قصة حياة الرجال الأشاوس الذين تكبدوا شظف العيش من أجل حياة كريمة مغموسة بالشقاء والعناء والتعب.

في ذلك يقول: يتحمل الغواصون صنوفا من العيش المضني و المتعب والمخاطر والأمراض، فليس لدى البحارة خلال موسم الغوص على اللؤلؤ ذلك الطعام الذي يساعد أجسامهم الضعيفة على هذا العمل الشاق والمتعب، ولا ذلك الماء الذي يروي عطش (القيض) الكاوي، فالماء حار وكدر وملوث بالحشرات مثل الصراصير (الزهيوية) ومقنن بمقادير.. فالقذارة في المأكل والمشرب ، وأما التمر الذي يعد الوجبة الهامة للغاصة فتقع عليه الحشرات والديدان ، وحتى النوم الملاذ الأخير للبحارة في آخر يومهم المضني لا يهنأون به، لان المكان غالبا ما يكون رطبا وضيقا على سطح السفينة، فيكونون متلاصقين بعضهم لبعض، وينامون أحيانا على المحار الذي يكون صلبا وخشنا وله رائحة كريهة، وبعض البحارة يجلبون معهم (مفرشا) عبارة عن قطعة من النسيج تسمى (جودري) طوله ١٦٠ سم وعرضه ٥٢ سم وعليه (جادر) قطني خفيف .. ويصاب بحارة الغوص (الغاصة و السيوب) بأمراض عديدة تتم معالجتها بالأدوية الشعبية مثل الصبر والعشرج والجعدة وغيرها من الوصفات.. بالإضافة إلى الحجامة و الكي بالنار، وهو العلاج المهم لديهم لأكثر الأمراض.

ويضيف الوالد سعيد البديد حول الأمراض التي تصيب البحارة فيقول: إن أغلب تلك الامراض هي ما تعرف بالطنان وانفجار الأذن و آلامها وأم الزيغة والإسهال والإمساك وألم الصدر ومرض العين ، أما عن طعام الغواصين فهو يتألف من الأرز والتمر، واعتمادهم طيلة النهار على التمر، وأكثر من يقبل على التهام التمر هم (السيوب) أما (الغاصة) فيأكلون القليل منه في أوقات معينة، حتى لا تمتلئ معداتهم فلا يستطيعون الغوص ، وفي المساء يتناولون العشاء وهي الوجبة الرئيسية، وأشهى أكلاتهم (المحمر) أو (البرنيوش) كما يطلق عليه أهل قطر و أهل البحرين ، وبعض البحارة يتشاركون فيما بينهم بكمية من الدهن (الخالدي) الطيب، فيستخدمونه لرشه على الأرز لإعطاء نكهة زكيه إلى الأكل مع السمك.. أما الماء فيكون غالبا قذراً وغير مستساغ، ويحفظ في أوعية تسمى (تانكى)، ويختلط طعم الماء برائحة المسامير والأخشاب المصنوعة منه، زد على ذلك الحشرات القذرة، ومع ذلك يقبلون على شربه والطبخ منه وبعض (الغاصة والسيوب) يأخذون كمية قليلة منه بعد استئذان النوخذة لدباغة جلودهم ليلا من الأمراض.

ويواصل الوالد سعيد البديد وصفه لحياة البحارة حيث يقول: إن العمل اليومي على السفينة خلال فترة الغوص يبدأ في الصباح الباكر وتتراوح مدة العمل فيه بين ١٢ ساعة و ١٤ ساعة، وتزيد في الصيف إلى ١٦ ساعة، فينزل الغيص إلى البحر واضعاً (الفطام) على رقبته بواسطة خيط رفيع و(الفطام) أداة تشبه الملقط مصنوعة من فطام السلاحف، يضعها (الغيص) على أنفه لمنع تسرب الهواء أو دخول الماء إليه، ويمسك الغيص بحبل قصير يسمى (القلطة) مربوط بأحد مجاديف السفينة، كما يضع (الديين) على رقبته وهو وعاء مصنوع من الحبال الرفيعة على شكل سلة وله قوس خشبي في الأعلى يعلقه الغيص في رقبته لوضع المحار فيه، ويضع (الزيبل) وهو الحبل الذي يربط به الحجر لإنزال الغيص إلى قاع البحر في رجله ويبلغ طوله ٣٦ مترا ثم يضع (الأيدة) أو (الجدة) وهو حبل النجاة بالنسبة للغيص والذي يجره السيب بواسطته ويبلغ طوله من ٧٢ إلى ٨١ مترا، وبعد أن يأخذ الغيص النفس، يضع الفطام على أنفه ثم يغوص ، وفي قاع البحر عند جمع المحار، يستخدم الغيص (الخبط) وهو مصنوع من الجلد ويشبه القفاز وذلك لحفظ يده من الأحجار القاسية ، وقبل أن ينتهي نفس الغيص يجر (الايدة) ويكون السيب لحظتها متيقظا، فيجره في الحال بأقصى قوته وبعد إخراجه يتناول منه (الديين) ويتركه يستريح نحو خمس دقائق، ثم يعود ثانية للغوص، وهكذا حتى



تنتهي نوبته وهى عشر مرات وتسمى (قحمة)، والمرة الواحدة في الغوص تسمى (تبة) ويظل يعمل في الغوص مدة موسم الغوص كله طيلة النهار حتى تغرب الشمس متحملا الشقاء والتعب، ويختلف الغاصة من حيث المكوث في قاع البحر حسب قوته ، ولكن غالبا لا تتجاوز دقيقتين ونصفا عند الأقوياء منهم، ويتعرض الغاصة إلى مشاكل التنفس، حين ينقطع نفسه وهو بين القاع ووسط البحر فأحيانا يخرجونهم وهم في حالة غيبوبة، و أحيانا أخرى تصل إلى الموت، إذا لم يتمكنوا اللحاق به وهو في الرمق الأخير، فحياة الغيص تكون مرهونة بالسيب، فلو غفل عن الإشارة التي يعطيها الغيص، ولم يقم بسحبه في وقته، ربما توفى الغيص من جراء هذا الإهمال.. ويظل الغواصون في عملهم هذا يجمعون المحار طيلة يومهم، ويتنقلون في الهير من محل إلى أخر، وعند طلوع الشمس يبدأون العمل بفتح المحار بحثا عن اللؤلؤ بواسطة نوع من السكاكين المعدة للفتح وتسمى (المفالق) .. وعند القفال يعرف النواخذة موعد حلوله بعد أن تهب رياح السابعة المعروفة لدى أهل البحر في الخليج بصفة عامة، ومن برودة الماء يعرفون أن الجو أصبح باردا، ويكون ذلك غالبا في منتصف الشهر التاسع (سبتمبر) تقريبا.



وفي الأيام الغابرة نجد رجال الخليج في موسم الغوص يعملون ويأكلون وينامون على ظهر السفينة تحت السطوة الحديدية لقانون البحر الذي يمثله (النوخذة)، وغالبا ما يكون هو نفسه صاحب السفينة، ويأخذ وضعه الوظيفي على أساس خبرته الطويلة في معرفة أفضل بنوك اللآلىء في قيعان الخليج والتي يسمى (الهيرات) .. كما أنه يبحر فقط بضوء الشمس والنجوم وبمعرفته الواسعة بمياه الخليج .. وكانت الرحلة في موسم الغوص طلباً للؤلؤ بعيداً عن الدار والأهل والولد لعدة أشهر رحلة متصلة من العناء فوق سطح البحر الذي لا يرحم ولا يرأف ، ويبدأ موسم الغوص في شهر إبريل حتى سبتمبر من كل عام ، وكانت سفن الغوص تقوم بثلاث رحلات خلال الموسم بين كل منها أسبوع للراحة وتجهيز الرحلة التالية ، فالرحلة الأولى تستمر لمدة شهرين، والثانية أربعين يوماً، أما الثالثة فتستمر حتى يكتمل أربعة شهور وعشرة أيام ،

وكانت كل سفينة تموّل بكميات مناسبة من الطعام، وتلجأ في حالة نضوب مخزونها إلى شراء ما يلزمها من بعض السفن الأخرى المخصصة للتموين.. وتبدأ فترة الغوص من شروق الشمس إلى غروبها، كما يتطلب من الغواصين أن يغوصوا ثماني مرات، والمسألة برمتها تتوقف على العمق وهى ما يقارب أل ١٢ متراً (٣٠ إلى٤٠ قدماً) يمنح خلالها قسطا من الراحة.

أن الحياة (الإسبارطية) هي السمة السائدة على ظهر سفينة الغوص، وتتسم بالصرامة وبساطة الاقتصاد في الإنفاق وحتى في الكلام، ودائما ما يتعرض الغواصون لسوء التغذية مع استمرارية تناول القهوة والتمر في وجبة الإفطار، أما السمك والرز فهي لوجبة العشاء ، وعليه فإن آثار النعمة التي تبدو على أجسادهم سرعان ما تختفي في بداية الموسم وحينما يرجعون إلى ديارهم في نهاية المطاف، يبدون وكأنهم أشباح أو هياكل عظمية متحركة، وهم يعانون من أمراض الرئة والتهابات الجلد الفطرية والإسقربوط (داء تورم اللثة) بالإضافة الى الروماتيزم والتهابات المفاصل، أضف إلى ذلك ما يواجهونه دائما من خطورة هجمات سمك القرش، ولا ننسى معاناتهم البطيئة من فساد الذاكرة بسبب نقص الأوكسجين أثناء غطسهم لفترات طويلة وبصورة متكررة خلال اليوم.



وعندما يقوم (النوخذه) بتسويق اللؤلؤ فإنه يدفع نقدا لكل عضو في الطاقم ، يقول الوالد سعيد البدبد إن الأرباح يتم توزيعها بطريقة القسمة الهرمية، أي حسب الرتبة والسلطة ، وتقسم بعدالة وبدقة كما هو متفق عليه ، فالنصيب الأكبر يوضع جانبا ليمنح للنوخذة، وجزء منها للسفينة، والمتبقي منها يقسم بنسب على ضوء الوضع الوظيفي، فكل شخص ينال حسب مرتبته.. فنجد الغواصين سريعا ما يستعيرون مؤنهم وباستمرار قبل بداية الموسم وذلك لسد حاجات أسرهم للستة أشهر المقبلة التي يقضونها في البحر،.فإذا كان محصول الموسم وافرا فأن ذلك فقط يعطيهم الحياة للستة أشهر المقبلة، دون اللجوء للدين والاقتراض مرة أخرى..أما إذا لم يحدث هذا، فإن شبح الجوع والمعاناة المتزايدة أو حتى لنقل أن الموت يرخي ظلاله عليهم ولا يتركهم بسهولة .. فإذا ما قدر لرجل من البحارة الموت فإن مسئولية أبنائه الوفاء بالتزامات والدهم وتسديد الدين عنه، وبهذا النهج نجد كثيرا من الغواصين مكبلين بقيود الدين، قبل أن يبدأوا في أول غوص لهم.

الطواشون
(تجّار اللؤلؤ)

يطلق على من يعملون في تجارة اللؤلؤ / طواويش / ومفردها /طوّاش/ وهذه الفئة تعتبر من الطبقات المتميزة في المجتمع لمكانتها الاقتصادية، ونتيجة لهذا الوضع يتمتعون بنفوذ .. ولأن لفظة / طواش/ أعيت الباحثين من قبلنا في الوصول إلى معناها اللغوي، فإننا لا نجد ملجأ إلا بما جاء في كتاب المؤرخ الكويتي الكبير / سيف مرزوق الشملان/ الذي اعترف هو أيضا بعدم سهولة الوصول إلى المعنى الدقيق لهذا اللفظ المعروف بأهمية ممارسته بين أهالي البحر في المنطقة، فقد أورد في الجزء الثاني من كتابة (تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت) تعريفا مفصلا لأصل هذه اللفظة، فيقول في إحدى فقرات الكتاب ..

لم أجد في كتب اللغة العربية ذكرا للفظة (طواشه) بمعنى تجارة اللؤلؤ، ولا فعل طاش بمعنى اشترى اللؤلؤ .. ففي لسان العرب لابن منظور (الطوش) خفة العقل، وطاش إذا مطل غريمه، وطاش السهم عن الهدف يطيش طيشا إذا عدل ولم يصب الهدف، وأطاشه الرامي .. هناك فعل واحد له علاقة بالبيع والشراء وهو طوش إذا مطل غريمه، فهل اسم الطواش مشتق من فعل /طوش/؟ اعتقد أن هذا ليس صحيحا، فالفعل يعني المطل وعدم تسليم الدراهم لمن اشترى منه، ولا يعنى البيع والشراء... هناك أيضا لفظة معروفة لدينا وشائعة الاستعمال في البصرة وهى لفظة (طواويش) بضم الطاء، وتطلق على الرجال الذين يجمعون التمر المتساقط من النخيل على الأرض من جراء الرياح، يجمعونه لحسابهم الخاص وليس لصاحب الملك .. فهؤلاء الرجال معروفون بهذه التسمية في البصرة، ولهم أعمالهم في هذا المجال وقت قطف ثمرة التمر من النخيل، ثم تكديسه ووضعه في أكياس خاصة من سعف النخيل، وربما أن لفظة الطواشة / تجارة اللؤلؤ / اشتق اسمها من الطواشة / جمع التمور المتساقطة على الأرض/ فالطواش عندنا يبحث عن اللآلىء المناسبة له.

علي بن خليفة الهتمي

لعائلة الهتمي تاريخ متأصل مع تجارة اللؤلؤ، ولهم مراكبهم التي تعرف بهم وأهمها سنبوك الهتمي، واسمه «عناد» وهو سنبوك كبير للغوص، وإذا عدنا إلى أصل الكلمة لدينا في الخليج العربي نجد أن (طاش) في عرف اللهجة الخليجية: امتلأ وزاد عن حده، والوالد الفاضل علي بن خليفة الهتمي رئيس مجلس الشورى القطري سابقاً، يعد أحد ربابنة الغوص على اللؤلؤ، وأحد الذين ساهموا في وضع الأسس الثابتة لعالم اللؤلؤ التي أفرزت هذا التاريخ الحافل بكل معطيات المرحلة التي نهلت منها أجيالنا السابقة، وظلت تحكى قصتها لأجيال الحاضر، لتربط أوصالها مع الأجيال اللاحقة، لتعرف مدى عظمة وقدرة الأجداد في نسج تاريخهم من خيوط الشقاء والتعب والكد والكفاح الذي لا يعرف الهوادة أو الاستكانة..



وبحكم علمه الغزير، ومعرفته ببواطن الحياة التي عاشها أجدادنا إبان حياة الغوص على اللؤلؤ، ومعايشته لتلك الحقبة بحلوها ومرها، فنحن على يقين من أن المعلومات التي تحفل بها ذاكرته انعكاس صادق للصورة التي كانت عليها حياة أهل البحر في قطر وباقي دول الخليج العربي الذين جمعتهم ظروف متشابهة... وهنا ندع المجال للوالد علي بن خليفة الهتمي ليحدثنا عن (الطواشة) وله صولات وجولات فيها، بحكم خبرته كطواش بذاته، وكفرد لصيق بالعاملين من تجار اللؤلؤ المحليين والأجانب في هذا المجال..

المعروف لدى عامة الناس أن بواطن هيرات قطر تختزن افضل أنواع اللؤلؤ في الخليج قاطبة، وهذه الهيرات تشمل العدون من أم الشيف لفان إلى أم الشيف زروكوه .. بالإضافة إلى مغاصات العد الشرقي والعد الغربي وأبو قريعة وجلمسان وأم العظام، وكنا نحصل من هذه الهيرات على أفخر الدانات والحصابي، وجميع تجار اللؤلؤ في الخليج يأتون إلينا في قطر لشراء اللآلىء الفاخرة، يأتون من الكويت ومن سلطنة عمان ومن إمارات الساحل المعروفة الآن بدولة الإمارات العربية المتحدة .. لماذا كانوا يأتون إلينا؟ الجواب معروف، وهو ما يؤكد كلامي في البداية أن اللؤلؤ المستخرج من قيعان بحر قطر هو الأفضل والأحسن، وكنا نشاهد خلال موسم الغوص ما يقارب ألف محمل في هير أم الشيخ المحاذي لساحل قطر، وترى هذه المحامل لصيقة بعضها ببعض، فالكل يطمح إلى أن يحصل له على حصباه من هذه الهيرات، فنوعية اللؤلؤ الذي يخرج من هيرات قطر أحسن من المستخرج من هيرات المناطق الأخرى، ومعروف لدى أهل الخليج أن أكبر دانة ظهرت عندهم من هيرات قطر كانت لابن فاضل، وكانت تزن مثقال و١٢ شو وهي أكبر من قماشة بن ياقوت المشهورة في الكويت، وقد بيعت بألف ريال فرنسي، وهي عملة كانت معروفة آنذاك ومصنوعة من الفضة، ويذكر أن أرضية بحر الكويت لا تساعد على الغوص كثيرا، لان قيعانها رخوة، والمحارة تلصق في الجير ومتماسكة بقوة يصعب على الغيص انتزاعها بسهولة، أذكر أن اللؤلؤ الذي كانوا يأتون به من خارج بحر الخليج العربي لا يكون بالمستوى المطلوب، ويباع بسعر رخيص مثل لآلىء البحر الأحمر، فهو معروف أنه قماش غير حي دسم أحمر اللون وليس عليه إقبال من تجار اللؤلؤ، ومع ذلك هناك بحاره يذهبون إلى تلك المناطق ويحضرون هذه الأنواع ..

وكان مركز تجمع تجار اللؤلؤ قديماً هنا في الدوحة، وكان حاكم قطر الشيخ عبد الله بن جاسم طيب الله ثراه قد أعطى هذا الجانب اهتماماً شخصياً منه، وكان يتمنى أن يجمع كل محاصيل اللؤلؤ في الخليج عنده هنا في قطر، إلا أن الحظ لم يسعفه، فقد ألمت به مصائب المرحلة القاسية لانكسار اللؤلؤ، وبدأ يأخذ نسبة من المدخول كضريبة من الأهالي الذين لا يعرفون رزقا غير البحر لهم، وكانت هذه الضريبة يأخذها الحاكم دون مقابل، إلا أنه يقرض بعض الغواويص و الطواويش، ولأننا والحال واحدة فكنا نتراضى بيننا فيما يقرر، فالسوق نازل وليس لدينا غير هذا المصدر للرزق، فلتسهيل الشروط علينا كان يأخذ من أهل قطر النصيفة ومن الأجانب الربع حيث أهل قطر كلهم يملكون محامل لكن تتفاوت بين واحد و آخر، وكان اغلب البحارة يجلبون من بلاد فارس وأفريقيا للعمل في المحامل، ونحن في قطر اعتمادنا في حياتنا على أعمال البحر، والحاكم يحصل كل عام على مبالغ كبيرة من الغاصة عن طريق هذه الضريبة، وخاصة أيام فترة ازدهار تجارة اللؤلؤ... وهنا أود أن اذكر سالفة بين الوالد والشيخ

عبد الله بن جاسم، فقد طلب الشيخ من الوالد/ القلاطة/ وهى النسبة المقررة على البحارة والمقدرة بـ (عشر روبيات) للشخص ست على الغيص، وأربع على السيب، فرفض الوالد دفع الضريبة للشيخ بحجة أن هؤلاء البحارة يكون البعض منهم معنا في البحر والباقي نتركهم لحراسة حلالنا في البلاد من النهب والسرقة، فكيف يأخذ منهم الضرائب؟ فأمر الشيخ عبد الله بن جاسم بإعفائهم منها، واقتصرت الضرائب على العاملين في المحمل فقط.

ونحن قد لحقنا على الفترة التي كان المرحوم يوسف بن احمد الجابر يدور بكيسه على الغواويص يجمع منهم الضرائب، ويأخذ أيضا من الأجانب الذين يعملون في مراكب المواطنين، واذا حاول أحد من البحارة التهرب ولم يدفع المستحق عليه وهى كما قلنا ست على الغيص وأربع على السيب فهو يعرض نفسه للمحاكمة والعقاب، لأنها ضريبة مفروضة على الجميع، فالبلاد ليس فيها دخل غير البحر وما يستخرج منه، لكن أحيانا الشيخ يتهاون مع البعض إذا وجد أن مدخولهم ضعيف لا نه يعلم بالحال ويأخذ الموضوع من باب التعاون.

كانت حياتنا مرتبطة ارتباط وثيقا بالبحر، لا نتركه طوال العام إلا في حدود الشهر في موسم الشتاء، حيث نقوم برعي الماشية في البر، أما في الظروف العادية فنحن كطواويش نلتقي في الأسواق للبيع والشراء في اللؤلؤ، ولدينا مقهى في سوق واقف نجتمع فيه ونتذاكر في أسعار اللؤلؤ وفي حركة السوق الخارجي، و غواويص قطر أول ما يلمون اللؤلؤ يضعونه أمام الحاكم ثم الشيوخ المتعاملين في اللؤلؤ، لان الأولوية لهم، فهم يشترون ما يريدون، وإذا اكتفوا يقوم أصحابه بإنزاله إلى السوق .. واذكر أننا بعنا الشيخ عبد الله بن جاسم دانات بـ ٤٢ وأعطانا مقابلها سيارة موريس حمراء نادرة...

وهنا أود أن أشير إلى أن علاقة الطواويش غالبا تكون جيدة فيما بينهم، كما أن علاقتهم مع الغواويص أيضا طيبة، فكان الغواص يبيع التاجر ويصبر عليه لأكثر من شهر، ولا يطالبه بها إلا بعد (القفال) والثقة متوفرة عند الجميع، وبعض التجار (يمدون) الغواويص أي يقرضونهم ولا يأخذون فوائدهم إلا بعد انتهاء موسم الغوص، يتحاسبون مع بعض في ود واخوة، وأنا اعرف أن تجار اللؤلؤ الهنود المقيمين في دبي يمدون الغواويص هناك مثل (الغرير) و(الفطيم) بمصاريف الرحلة، وكانوا لا يدفعون غالباً نقداً بل يوفرون للبحارة التموين الذي يحتاجونه، وينتظرون نهاية الموسم لأخذ محصولهم وتوزيع النسب بينهم .. ونعد نحن عائلة الهتمي من الأقوياء في سوق اللؤلؤ هنا في قطر، وهناك عائلات أخرى معروفة في هذا المجال، وكان الشيخ عبد الله بن جاسم يتولى شراء اللؤلؤ من عندنا فقط، أما الذين يتولون عملية التمويل فهم تجار السوق

المعروفون، والشيخ عبد الله بدوره يبيع اللؤلؤ إلى التجار الهنود في دبي، وطبعا دبي كانت تعتبر مركزا هاما لتداول اللؤلؤ، وكانت قبلها / لنجة / التي تقع على ساحل فارس، وكان يحكمها القواسم، ويتجمع فيها كافة طواويش المنطقة من قطر والكويت والساحل والبحرين ودارين.



وإذا كانت الركبة أو (الدشة) هي بداية الإبحار في اتجاه المغاصات، وهي بداية الأمل في موسم جديد يجلب الرزق والحياة، فان (القفال) هو نهاية الموسم والرجوع إلى البر وتقسيم الأرزاق .. وقد تم تنظيم العمل في الغوص على أسس له قوانينه المعروفة بين أهل البحر في الخليج العربي، ومن هذه القوانين أن تعين كل دولة من دول المنطقة قائداً بأمر الحاكم لكل أسطول تابع لها يسمى (السردال) أو (أمير البحر) وهو المسئول عن أحوال السفن التابعة له خلال موسم الغوص، وهو الذي يوجه النواخذ، ويحدد لهم موعد انتهاء الموسم بعد الأربعة أشهر، حيث يرفع العلم ويطلق طلقة مدفع إيذاناً بنهاية العمل، ثم يعودون جماعة نحو البلاد وهو ما يطلق عليه (القفّال) .. ولأهمية هذا اليوم فان بعض (النواخذة) المشهورين يقومون بشراء ذلك اليوم من الحكومة، وذلك بأن يدفع النوخذة للحكومة مبلغاً، ويترك له موعد نهاية الغوص وقيادة السفن إلى البلاد، حتى يكون له الفخر بين البحارة، ويجري اسمه على كل لسان .. وأشهر (سردا ل) في قطر هو إبراهيم بن نصر النصر الذي عين من قبل الحاكم، فإذا نزع (البنديرة) وركب العلم الأبيض، ردوا قفلوا، فالسفن تكون في حالة تأهب عند اقتراب نهاية

الموسم، فكل السفن تقترب من سفينة (السردال) رويدا رويدا يترقبون إشارته، والإشارة المتفق عليها لتسابق سفن الغوص عائدة إلى الوطن، هي أن يطلق أمير الغوص المعين عياراً نارياً مدوياً في أرجاء مناطق الهيرات، ويتقدم أسطول السفن متجهاً نحو البلاد . وهذا الأسلوب لا يتم إلا في موسم الغوص (العود) وهو الغوص الرسمي، أما في الدشات الصغيرة الأولى والثانية والثالثة والخماميس اللي طالعين وجايين في كل وقت فهؤلاء ليس عليهم شروط .. وإبراهيم بن نصر نحن لحقنا عليه، وعملنا تحت أمرته حين كان هو (السردال) فنتبعه عند الدشة وعند القفال، ويقول شيبانا أن أول أمير من أمراء الغوص في قطر هو محمد بن خليفة العسيري المعاضيد الذي كان يملك السفينة (البتيل) المشهورة والمعروفة باسم (أم الحنايا) لكثرة الانحناءات و الالتواءات في هيكلها، والتي ورثها منه الشيخ خليفة بن جاسم بن محمد بن ثاني باعتباره خال أمه وقد جلبت من عمان.

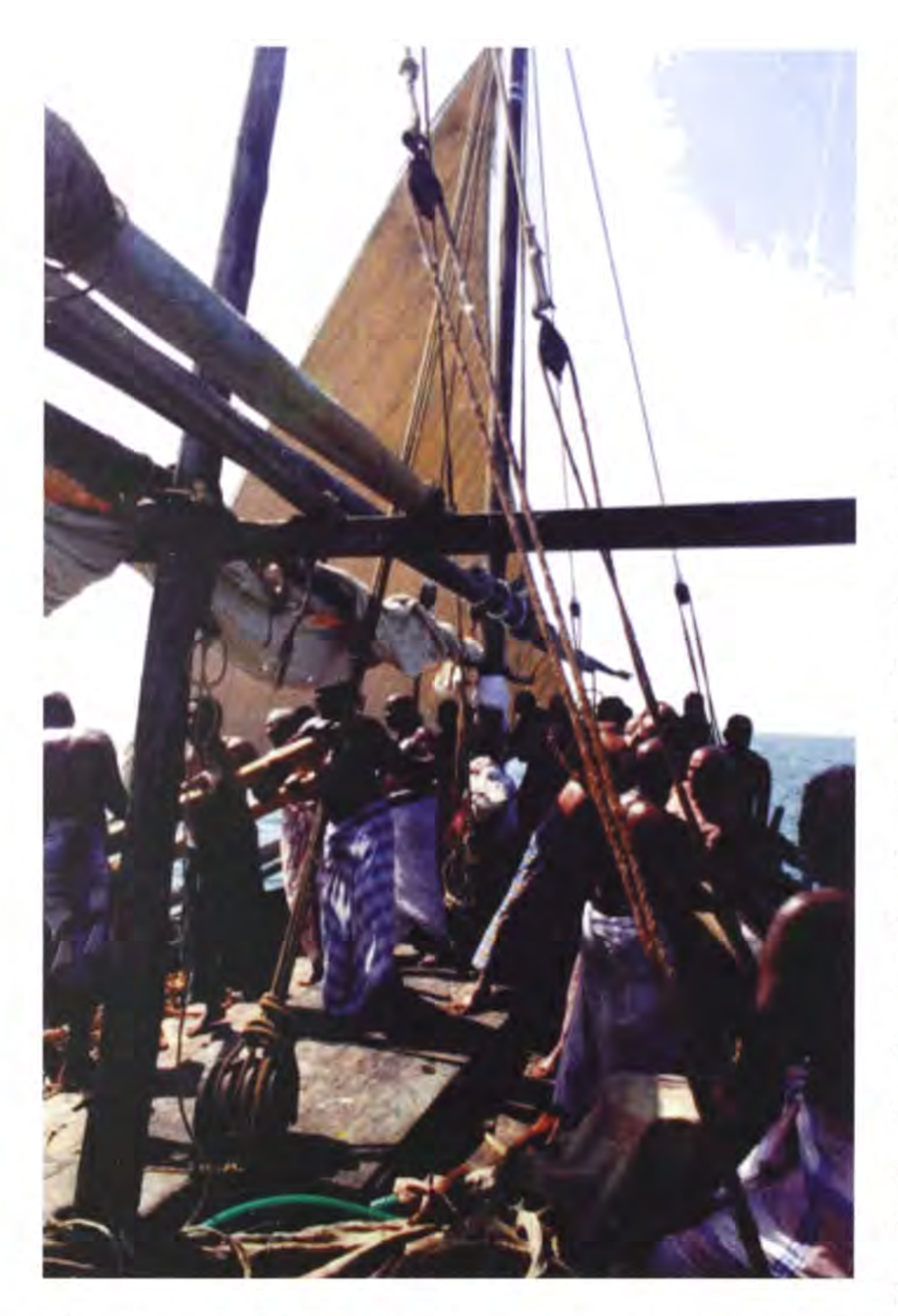
ومن الذكريات التي لا تزول عن البال المرحلة التي عاشتها بلادنا قطر، وكل دول الخليج العربية بعد ظهور اللؤلؤ الياباني أو كما نطلق عليه اللؤلؤ الصناعي بأسعاره المنخفضة، وما حل بنا من مشاكل لم تكن سهلة. واذكر أن أول من جلب هذا اللؤلؤ إلينا في الخليج هو خليل بن أحمد الباكر، وقد واجه معارضة وتأنيباً من تجار اللؤلؤ والشيوخ آنذاك، واخضعوا التاجر الذي أحضره إليه إلى عقاب صارم بعد أن اثبتوا عليه التهمة، وكان تاجراً كبيراً له مكانته إلا أنه لم يسلم من العقاب، فقد اركبوه على ظهر حمار بطريقة معكوسة وصبغوا وجهه وبدأوا يدورون به في الأسواق يوم / الجمعة/ .. فكان يستحق ذلك العقاب، لأن بنزول هذا اللؤلؤ بدأ لؤلؤ الخليج الطبيعي يفقد الاهتمام، وتحولت الحياة الاقتصادية إلى حالة سيئة، إلا أنها ولله الحمد لم تستمر أكثر من ثلاث سنوات تقريباً ردت بعدها الأحوال إلى وضعها الجيد، وتزامن ذلك مع ظهور البترول وانتهاء الحرب العالمية الثانية، فانتعش الحال ونهض الكون، وصارت الحياة عامرة بالنشاط والخير إلى يومنا هذا، فالازدهار عمّ كل المنطقة وتغيرت الأحوال ومالنا إلا أن نحمد الله العلي القدير على نعمه الكثيرة.

محمد بن راشد العسيري :

ذكر الوالد راشد بن محمد بن راشد العسيري أنه من خبراء اللؤلؤ المعدودين على مستوى منطقة الخليج العربي وليس في قطر فحسب، ويعتبر رجال عائلته من أشهر الذين عملوا في مجال الطواشة في قطر، وتربطه هذه المهنة بروابط وثيقة مع رجال اللؤلؤ سواء هنا في قطر، أو في باقي دول المنطقة ومع الأجانب المتخصصين في هذا المجال، وله فيها ذكريات خصبة، ولا زالت الذاكرة تسعفه في استعادة بعض ملامح تلك الحقبة، وخاصة ما يتعلق منها في تجارة اللؤلؤ يقول الوالد راشد بن محمد بن راشد العسيري..



لدينا في قطر عدد كبير من الطواشين الكبار والصغار. والوالد محمد بن راشد العسيري رحمه الله وأخوتي وجماعتنا اغلبهم يعملون في مجال الطواشة، ونحن نعد من الطواويش الكبار على مستوى البلاد، وسفننا تذهب إلى مغاصات بعيدة في مياه الخليج بأكمله، وكنا نلتقي مع كبار تجار اللؤلؤ سواء في دارين بالإحساء للتحدث بشئون اللؤلؤ وللبيع والشراء، أو في البحرين حين كانت تعد مركزا لتجارة اللؤلؤ في الخليج العربي قاطبة، سواء في مجال البيع والشراء أو للتزود بالحاجات المتعلقة بعمل السفينة ونحوها أو لمعرفة أسواق اللؤلؤ في البحرين والهند وأوروبا... واتصال تجار اللؤلؤ في قطر وسائر دول المنطقة بمدينة / بومباي/ وثيق الصلة جدا في مجال



تسويق اللؤلؤ، لأنها تعتبر بالنسبة لنا في ذلك الوقت مركزا مهما لهذه التجارة، وفيها عدد كبير من الأثرياء الذين يدفعون مبالغ طائلة مقابل لؤلؤ الخليج المرغوب جدا لديهم، ويقبلون على شرائه دون تردد .. وفي منتصف فصل الخريف بعد انتهاء موسم الغوص بنحو شهر أو أكثر نسافر إلى بومباي، ولنا علاقاتنا الجيدة مع تجار اللؤلؤ وسماسرتها هناك، ونحن كتجار عرب نبيع اللآلىء التي اشتريناها من غواويص الخليج إلى التجار الأجانب في الهند، وهم بدورهم يبيعون اللؤلؤ في أسواق أوروبا خاصة في باريس ولندن... كما كانت البحرين في تلك الفترة التي كنا نعمل فيها بالغوص أيضا مركزا مهما في تجارة اللؤلؤ، وكان كبار التجار الأجانب لديهم محلات في البحرين لشراء اللؤلؤ.. وقد كانت هناك سفن صغيرة يقودها طواويش صغار إلى المغاصات، ويصادف أن يشترك اثنان أو ثلاثة في سفينة واحدة للاقتصاد في المصرف، وكل منهم يشتري لحسابه الخاص، أو يجوز أن يشتركوا جميعا في الشراء والبيع، وأن يتحملوا الخسارة إذا لم يتوفقوا ..

والحياة في سفن الطواويش مريحة جدا، واذكر أننا حين كنا نخرج نحو سفن الغوص في المواسم، تكون سفينتا مجهزة بكل اللوازم المطلوبة لهذه المهمة ، وطوال فترة تواجدنا التي تبدأ بعد دخول الغواويص البحر وتنتهي، مع قفالهم، لا نأكل إلا الآكل النظيف عكس سفن الغوص فوجبتا الغداء والعشاء دائما ما تكون مغرية، ونضيف إلى الرز الدهن الطيب الذي يسمى / العداني/ غالي الثمن، وكما هو معروف أن في كل سفينة طواشة طباخ ممتاز، كما أننا في سفن

الطواشة لا نشرب الا الماء النظيف المبرد بواسطة الحب/ وهو وعاء مصنوع من الفخار، كما نشرب الشاي والقهوة و الحليب الطازج المأخوذ من الماعز التي تكون برفقة السفينة لهذا الغرض.

والطواشون كما هو معروف يسافرون إلى مغاصات اللؤلؤ بعد سفر الغواويص بنحو شهر، حتى يتمكنوا من جمع اللؤلؤ، وحتى يكونوا على بينة من أسعاره في أماكن تسويقه في الخارج، ونعود إلى البلاد كطواشين مع الغواويص اثناء القفال، وكل طواش يكون مرتبطاً بعدد من الغاصة يدفع لهم تكلفة الرحلة ليسافروا إلى الغوص لحسابه، وتسمى هذه العملية بـ/ التسقام / و الطواشون الكبار مثلنا يدفعون بسخاء لنواخدة الغوص، وهنا يلتزم النوخدة بأن يحفظ للطواش اللؤلؤ لبيعه إليه وحده، وإذا اختلفنا على الثمن نحكم بعض الطواويش من أهل الثقة للفصل في هذا الخلاف، وفي سفينة الطواشة يجلب الطواش خيرة البحارة لمرافقته في رحلة شراء اللؤلؤ، فيتفق مع عدد من البحارة من الذين سيذهبون معه على مبلغ معين طيلة السفرة وتسمى / القطوعة/ .. ويبلغ عدد البحارة عادة خمسة إلى عشرة أفراد، ويكون عدد من في السفينة الكبيرة للطواشة نحو عشرين شخصا بين كبير وصغير.

ولا تخلو سفينة الطواشة من زورق صغير يسمى / القلص/ فإذا كان الطواش في الهير بين الغاصة فانه يركب هذا / القلص/ ويدفعه هؤلاء الرجال البحارة بواسطة المجاديف ويتراوح عددهم على قدر حجم القلص من ٤ إلى ٨ أشخاص، فيطوف الطواش على الغواويص ويركب إلى سطح سفينة الغوص، حيث يعرض عليه النوخذه اللؤلؤ الموجود لديه، ويتفق معه على الشراء، ويحصل في هذا أيضا اختلاف في الرأي.. فالعالم كله في البحر، والطواش الذي يكون لديه قليل من المادة يأخذ له (محمل) ويسافر يطوش في البحر يعني لا يهم أن يكون في البحر طواش صغير أو طواش كبير الكل يعمل وحسب رزقه لكن بطبيعة الحال فأن مراكب الطواويش الكبار تكون أفضل ومجهزة بكل لوازم الراحة وادخل عدد منهم الماكينات إلى سفنهم، واستغنوا عن التجديف في مرحلة متقدمة مثل مراكبنا نحن عائلة (العسيري) أو الدرويش أو محمد عبد اللطيف المانع وغيرهم، فنذهب إلى الهيرات مع بحارتنا بالقلص من لنج الى لنج ومن بانوش إلى بانوش ومن شوعي إلى شوعى نجمع ما يمكننا من اللؤلؤ، طبعا هناك بعض (المحامل) لا تبيع على الهير لان لديهم اتفاقيات سابقة مع (الممولين) أصحاب (التسقام) فيقولون عليه نوخذة ما يقدر يبيع لأنه مرتبط، فيجمع (القماش) إلى حين العودة إلى البر فيسلمه للذي متفق معه وبعدها تتم مسألة التوزيع بعد أن يتم الاتفاق على السعر بعد وزنه وفرزه.. فإذا كان عليه دين يقصون دينه أو يبقي عليه للرحلة القادمة في السنة التالية..



عندها يبدأ الطواش في وضع اللؤلؤ في (الطوس) لغربلته وتحديد أحجامه، ثم يقوم بوزنه في الميزان حيث يفرش (الدسته) التي تحتوي على أدوات الوزن والغربلة والمكاييل وغيره، فيفرش الطواش قطعة من الخام لونها احمر مربعة الشكل طولها نحو متر أو متر ونصف المتر وتسمى (الخرجة) وأول عمل يعمله الطواش هو أن يضع كمية من اللؤلؤ في الطاسة الأولى ذات الفتحات الكبيرة، واللؤلؤ الذي يظل فيها يسمي (حصابي) وهكذا كل طاسة تخرج أحجام لها أسماؤها الخاصة واكبر أنواع اللؤلؤ هو هذه الحصباه، وأصغرها (اليكة) وأرداها (الخشرة) واللآلىء الكبيرة توزن بواسطة (الشو) ويكون سعر الشو تقريبا نحو ألف روبية في ذلك الوقت، وكلما زاد وزن اللؤلؤة زادت قيمتها وتسمى اللؤلؤة الفريدة (دانة).

خبـراء اللـؤلـؤ

تعني الخبرة الكثير عند رجال البحر ، ولا يمكن أن يصل إليها إلا ذوو المواهب الذين يخصهم الله عز وجل بهذه الصفة ، ويحظى (خبير اللؤلؤ) في منطقة الخليج العربي بأهمية ورعاية خاصة بين تجار اللؤلؤ، ولا يمكن الاستغناء عن خبرته، حيث يصطحب الطواش معه (الخبير) غالباً في جولاته في أسواق اللؤلؤ لانتقاء اللآلىء.



الخبير الراحل حسن مكي :

الخبرة والمعرفة الواسعة في مجال اللؤلؤ هي التي دفعت رجالاً في عقد الثمانينات مثل الحجى حسن مكي (رحمه الله) وهو رجل وقور رحل عن الدنيا في سبتمبر عام ١٩٩٨م إلى أن يشغلوا أنفسهم، بالمعلومات الكثيرة عن تجارة اللؤلؤ لأن ذلك اصل تكوينهم وإرثهم الضارب جذوره في التاريخ .. وهذا ما حقق لهم مكانة مرموقة بين تجار اللؤلؤ والمشتغلين بها في كافة أرجاء العالم، حتى باتوا يعرفون بنبوغهم وعلو علومهم في معرفة أشكال اللؤلؤ، وتمييز أنواعه



وأصنافه، والقدرة الفائقة على تقويم وإصلاح اللآلىء ، واستخراج عينات مثالية تصل إلى أرقى وأفخر الأنواع، وذلك بما يمتلكونه من خبرة وموهبة أمدهم الله بها في هذا المجال .

الخبير وحديث قبل الرحيل :

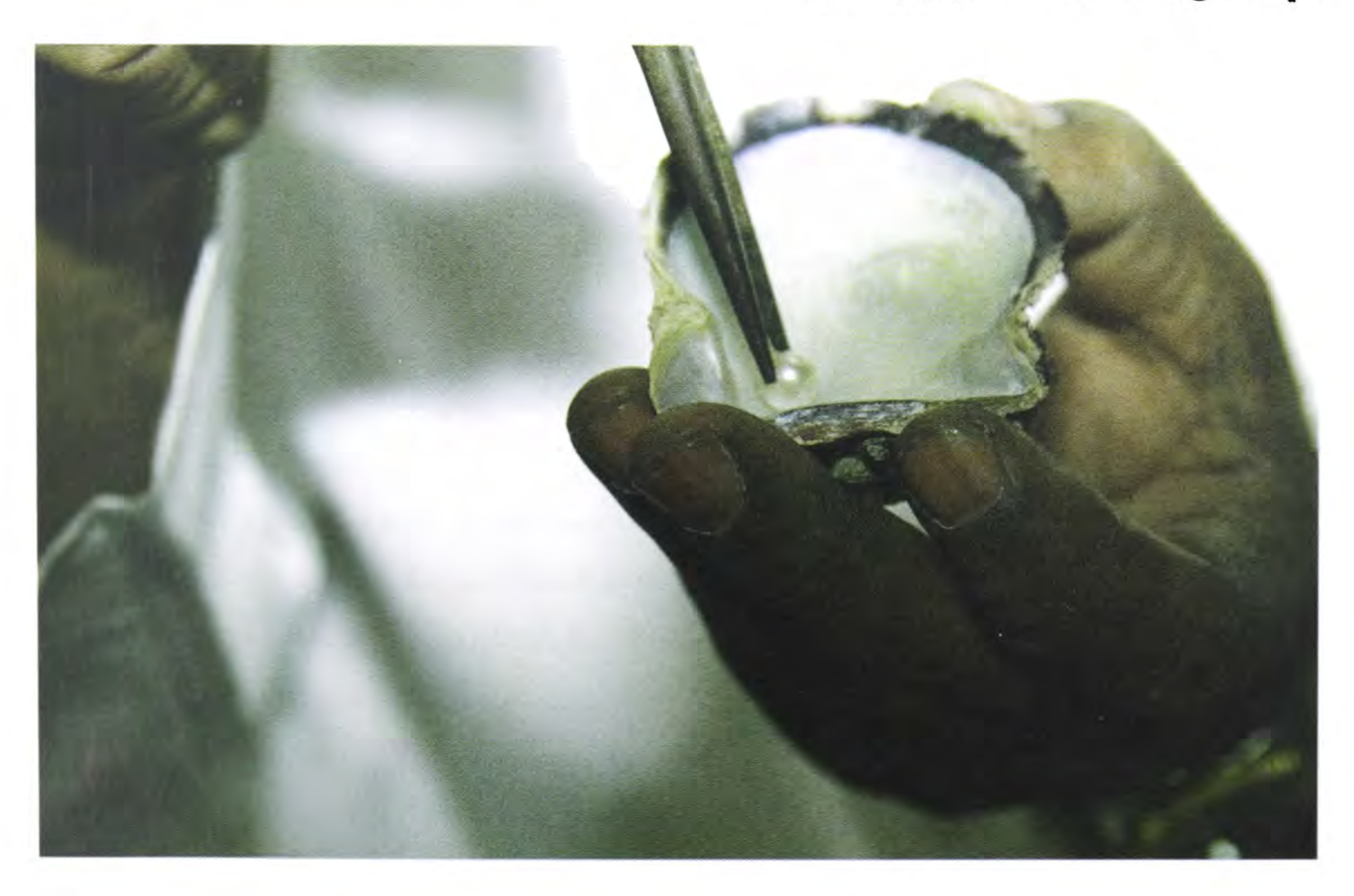
المرحوم الحجى حسن مكي الذي ورث هذه الخبرة عن آبائه وأجداده، يعد أحد أمهر الخبراء في تقييم اللؤلؤ في منطقة الخليج العربي، وكانت له مكانته ووضعه عند كبار تجار اللؤلؤ، حيث عمل عند العديد منهم، سواء في قطر أو في البحرين أو في عدد من بلدان ساحل الإمارات ، وكثيرا ما كان يستدعى من قبل شيوخ المنطقة وكبار الطواويش عند عملية البيع والشراء، فلمساته ونظرته تغني عن السؤال عن مكنون اللؤلؤة.

يقدم المرحوم الحجي حسن شرحا عن هذه المهنة المتصلة مباشرة بعمل الغوص ، ويكشف عن ذكريات تحملها تراكمات السنين الخوالي، حين كان اللؤلؤ هو الحياة، وذلك في توثيق نادر تم معه قبيل رحيله بفترة وجيزة، وخلال مرحلة جمع المعلومات لإنجاز هذا الكتاب. وفيما يلي ما قاله :

من بين ألف طواش تجد تقريبا خمسة فقط يعملون خبراء ، وهذه المعادلة تؤكد صعوبة وجود (الخبير) ، وإن وجد فالطلب عليه لا يتوقف ، رغم أن هناك تفاوتا بين خبير وآخر حسب الموهبة والفطنة والممارسة ، فهذه المهنة تعتمد بالدرجة الأولى على هبة الله عز وجل ، ومن ثم على الممارسة .. فعائلتنا مثلا (عائلة الفردان) جميع رجالها يعملون في (الطواشة) إلا أن القليل جدا والنادر من يمتلكون موهبة (الخبرة) ، وجدنا حسن الفردان يأتي في المرتبة الأولى ثم إبراهيم الفردان ثم (أنا)

ولم يبلغ أحد من أفراد عائلتنا الدرجة التي بلغناها ، فالله سبحانه وتعالى يعطي الإنسان علماً، لا يعطيه الآخرين (وفوق كل ذي علم عليم) ..

وحقيقة أن أكبر الطواويش في المنطقة يستدعونني ويستشيرونني في (الدانات) مع أن خالي إبراهيم الفردان هو أحسن مني بأضعاف، وجدي حسن الفردان لا يعلى عليه كخبير، وكان يسمى ب (الجراح)، وهذه الموهبة التي منّ الله عليّ بها صقلتها من خبرة جدي الذي عاصرته في آخر أيامه، وأنا لا زلت يافعا، ثم قدر لي أن أجد أمامي خالي إبراهيم، فتعلمت منه الكثير حيث كنت أجلس دائما بجانبه أراقبه بتمعن ، ذلك أن الوصول إلى درجة (خبير) يتطلب توفر صفات خاصة ، فعندما يشق (الخبير) الدانة ويخرج (ولدها) فكأنه يزيل جزءاً من البشرة الآدمية ، فليس من السهولة إطلاقا إزالة الطبقة التي تغلف الدانة ، بل إن مراحل إزالتها تتوجب الحذر من السطو على الطبقة الثانية، خشية أن يؤدي ذلك إلى إعدامها وتلفها، فهذه العملية تحتاج إلى سكين حادة، ويد خبير تكون هي المتحكمة في تنفيذ العملية ، وعملية إزالة القشرة الرقيقة من على اللؤلؤة فن لا يتقنه سوى ذوي المواهب الفذة، وهي عطية الله سبحانه وتعالى وهي أيضا درجات، وكل حسب موهبته التي حباه الله بها ونشاطه في مزاولة المهنة ، فأنا مثلا رأسا عندما أرى اللؤلؤة، أعرفها واعرف قيمتها فأشرع مع البائع في المساومة فيقول ب ٤٠٠ روبية وأفاصل معه وأنا أقلبها بين يدي، إلى أن نصل إلى السعر النهائي فأشتريها، وبهذا فأنا أتحمل المخاطرة ذلك لأنني خبير، ولأن إحساسي لا يخذلني فلا أتردد في النصح بشرائها ، هذا هو دور الخبير.



وعندما كبرت نمت معي هذه الموهبة فعملت (خبيرا) في بادئ الأمر عند علي بن عبدالله العويس في الشارقة، ثم عند أحمد بن خلف بن عتيبة أقوم بإصلاح الدانات ويستشيرونني فيها .. أما في قطر فقد عملت (خبيرا) عند الشيخ فالح بن ناصر وعند الشيخ خليفة بن حمد الذي كان يرسل لي سيارة خاصة تقلني إلى قصره حين ينوي شراء أي (قماشة) .. فأقوم بفرز اللؤلؤ الذي لديه، ثم أزنه، ثم أثمنه وأصنفه حسب قيمته التي كانت تصل في بعض الأحيان إلى خمسة ملايين ريال .. كذلك عملت (خبيرا) لكبار الطواويش في قطر مثل محمد الربان ومحمد بن راشد العسيري والشيخ جاسم بن محمد من أم صلال وغيرهم .. كما إنني بحكم تمكني من هذه الخبرة وسمعتي المعروفة في هذا المجال عملت أيضا في البحرين لبعض التجار، حيث يستشيرونني في الدانات على الرغم من وجود خبراء لديهم على مستوى جيد ولهم سمعتهم الطيبة، إلا أنني أتفوق عليهم. لذلك يستدعونني كبار تجار اللؤلؤ في البحرين مثل عبد الرحمن القصيبي وعبد الله بن أحمد المناعي وخليل المؤيد ومحسن التاجر والد مهدي التاجر الدبلوماسي ورجل الأعمال الإماراتي المعروف ، وخليفة بن مطر وعيسى بن هندي وهؤلاء تجار كبار وطواويش معروفون ، والبحرين كما هو معروف تزخر بأعداد كبيرة منهم، ويصل عددهم إلى خمسة آلاف طواش أو تاجر لؤلؤ تقريبا في ذلك الوقت.

ذكريات المهنة :

نحن فتحنا أعيننا في هذه الدنيا واللؤلؤ موجود والناس اعتمادهم عليه. وليس لدينا دخل إلا من إيرادات اللؤلؤ، فلذلك التجارة المنتشرة آنذاك هي تجارة اللؤلؤ..وكانت دول الغرب تعطي لآلىء الخليج أهمية خاصة، وتعتبره منافسا للأنواع الأخرى من اللآلىء ، والحقيقة ليس الغربيون هم الذين اكتشفوا هذه الخاصية للؤلؤ الخليج، بل هم الهنود ،فقد كانوا الأقرب لنا في تجارة اللؤلؤ، وأذكر حين كانوا يأتون إلينا ويشترون اللؤلؤ ، وكنا نرحب بهم ونفتح بيوتنا ومحلاتنا وجواهرنا لهم، ونبيعهم بكل رحابة صدر، لأنهم يشترون منا بضاعتنا، وبالتالي هم الذين يسوقونه إلى أوروبا ، ومن المعروف لكل أهل المنطقة أن سوق الهند يعتبر أكبر موقع لتسويق لؤلؤ الخليج، لأن فيه (الراجات) والملوك والأثرياء الذين يقبلون بقوة على شراء لؤلؤ الخليج خاصة في المناسبات السعيدة ، والحقيقة ليس فقط تجار الغرب الذين عرفوا أن لؤلؤ الخليج هو من أحسن الأنواع بين لآلىء العالم، بل كل تاجر ومقتني لآلىء يعرف هذه الخاصية جيدا .. فنحن منذ أن فتحنا أعيننا لم نجد أمامنا سوى هذه المهنة وهي الطواشة وتجارة اللؤلؤ، وهذه أكسبتنا خبرة في مجال الغوص ومعرفة أماكن أحسن (الهيرات) أي مكامن اللؤلؤ رغم كثرتها وانتشارها في مياه الخليج، ففي قطر وحدها أكثر من ثلاثين (هير) ونحن نعرفها حق المعرفة، بل ونعرف الأماكن التي يمكن أن نستخرج منها الأنواع الفاخرة .. نعم هذه شغلتنا ، فالغواويص يستخرجون اللؤلؤ، والطواويش يشترونه منهم ويبيعونه في أسواق اللؤلؤ العالمية، وهذه طبيعة حياة الغوص في زماننا ، وترتكز

مهنة الطواشة على آلية البيع والشراء في مجال اللؤلؤ فقط، أما فن تصنيعه فله متخصصون. ومعظم الصنّاع الذين نعرفهم هم من بلاد الهند التي كانت تستوعب الكثير من لآلئنا، وبعدها تأتي أوروبا. واذكر أن أول من راح وباع لؤلؤ في فرنسا هو عبد الرحمن القصيبي، وأول من سافر بالطائرة إلى الهند هو محمد ملا زينل، ومن الهند كان يسوق اللؤلؤ إلى باريس عن طريق السفر بالطائرة، بعدها صار تجار فرنسا أنفسهم يأتون إلى المنطقة لشراء اللؤلؤ ، وأنا سافرت إلى فرنسا، واذكر أنني اشتريت (قماش) من تاجر معروف هو (روزنتال) وهو من عائلة كبيرة من يهود فرنسا، وأحد أكبر الطواويش في العالم، ولم يكن يستطيع الوصول إليه لا أنا ولا غيري من هم في مستواي ، فقط يستطيع رؤيته التجار الكبار والمعروفون ، وعندما يكون في الهند أو في البحرين، حيث يملك محلات فيها لشراء اللؤلؤ، فهو يخضع لحراسة مشددة ولا يمكن الدخول عليه إلا بإذن الشرطة، أما الآن فقد أختلف الوضع، فأنا أذهب إلى فرنسا فأجد كل الترحاب منه، ويعرض عليّ العمل معه ، وقد اشتريت منه عقداً من خيط واحد بعته على السيد (حسين الفردان) بـ/مليوني ريال/ فهذا التاجر القوي الذي لا يستطيع أحد رؤيته في الماضي الآن هو نفسه يأتي إلينا ويساومنا في أسعار اللؤلؤ ، والمعروف أن فرنسا كانت تعد في ذلك الوقت من أهم مراكز تسويق اللؤلؤ إلى أوروبا ، ومنها انتشر لؤلؤ الخليج في أسواق بريطانيا وأمريكا حيث كانوا الوحيدين من الغرب الذين رأيناهم عندنا في المنطقة في عز نشاط أيام الغوص.

سوق الكبار:

كانت أهم مراكز تسويق لؤلؤ الخليج هي /الهند/ التي تربطنا بها ذكريات تاريخية هامة، حين كنا لا نعرف غيرها في تسويق لآلئنا، ومنها انفتحنا على الأسواق العالمية .. ولا يفوتني هنا أن أورد لكم لمحة عن وسائل السفر إلى تلك المناطق، وخاصة الهند التي كان الوصول إليها يعد بالنسبة لأجدادنا معجزة ومشقة، فهم لا يعرفون غيرها مكاناً لتسويق لآلئهم، وكان الهنود لا يصلون إلينا ولا يعرفون موقع مناطقنا في الخليج، ويقول الأجداد إن السفر إلى الهند كان يتم عن طريق البواخر الشراعية الكبيرة التي تسمى /سفار/ والتي تحمل التمر إلى الهند وباكستان، ويحملون معهم أيضا اللؤلؤ لبيعه هناك، أما جيلنا نحن فقد رأيناهم يأتون عندنا، وهذا كان تقريبا في الثلاثينات من القرن العشرين، عندما بدأت البواخر تجوب البحار في كل أرجاء العالم، بعد أن أكتشف العالم طريق الوصول إلى منطقة الخليج العربي، وللعلم فإن البواخر القادمة من الهند أو غيرها لا ترسو في موانئ المنطقة، بل كانت ترسو في ميناء على ساحل فارس يدعى بندر (لنجه) وهي منطقة كانت تحكمها قبيلة (القواسم) التي تحكم إمارة الشارقة ورأس الخيمة بدولة الإمارات العربية المتحدة في الوقت الراهن، فمن هذا الميناء يلتقي تجار اللؤلؤ سواء من الهنود لشراء اللؤلؤ أو من أهل الخليج العربي لبيعه، لأن (لنجه) تعتبر في ذلك الوقت مركز تجمع تجار اللؤلؤ العرب، فيأتون في الشتاء بعد انتهاء موسم الغوص إلى هذا البندر، ومنه ينطلقون إلى ميناء بالمملكة العربية

السعودية، ومنه ينطلقون إلى (بومباي) في الهند، لأن المراكب التي تستخدم كان أقصى حد تصل إليه هو ميناء، يعني لا يمكن أن تصل إلى البحرين .. فينزل تجار الخليج في بومباي، ويبقون فيها حوالي أربعة أو خمسة أشهر، حتى ينتهوا من بيع ما بحوزتهم من لآلىء، ثم يرجعون من نفس الخط مزودين بالمؤن الغذائية الرئيسية والأقمشة، ويشرعون في عرض البضائع في الأسواق خلال فترة الصيف وقبل بدء رحلة الغوص .. وفي ذاكرتي في الحقيقة مشاهد عجيبة، فخلال الرحلة إلى الهند وكان عمري أيامها ١٨ سنة نطوف بمدن ومناطق مختلفة من العالم، اذكر إننا نطوف بجزيرة هنيام وبندر عباس وجاش ومسقط وشاه بار وجوادر وكرا تشي وأم البراوه وبنجلور، وكانت تقلنا بواخر الشركات المعروفة آنذاك مثل بواخر /كريم كنزي/ البريطانية وتستغرق المدة من (لنجة) إلى (بومباي) حوالي ١٧ يوماً، وهناك كنا نلتقي بكل تجار الخليج من البحرين ومن الكويت ومن ساحل الإمارات ومن دارين، جميعهم يأتون إلى بومباي لتسويق ما لديهم من لؤلؤ، وأشكالهم معروفة ومألوفة بملابسهم الخليجية التقليدية(غترة وعقال وثوب)، ونلتقي أيضا هناك في مساجد مخصصة للمسلمين خاصة يوم (الجمع)، وطبعا (الدلالوه) أي السماسرة يعرفون كل تجار الخليج الكبار، فيستقبلونهم من على الميناء ويرحبون بهم، لأن أغلبهم جاء ليسدد الدين الذي عليه، والذي كان قد استلفه من تجار هنود كبار في الموسم الماضي، وينتظرون هذا الوقت لاسترجاع نقودهم مع الفوائد، وكانوا يقرضون تجار الخليج بمبالغ كبيرة تصل إلى أكثر من ٢٠ ألف روبية، وكانت الثقة هي سمة التعامل بينهم، فهم يمولون نواخذة الخليج وينتظرون محصولهم في نهاية الموسم .

وبالنسبة لي على المستوى الشخصي، كنت أحضر المبايعات التي تتم في حضرة المتداولين في اللؤلؤ من الطرفين، وأدلي برأيي في أنواع اللؤلؤ، واقدم المشورة، وأحدد الأسعار وفق نوعيتها وتمايزها، وكان لي احترامي بينهم وهذا اكبر شيء كسبته في حياتي، فالكل يعرف عني صدقي ونزاهتي في تقييم اللؤلؤ، وأجد كل التقدير ولله الحمد.

أما بالنسبة لنا في منطقة الخليج فالبحرين كانت بلا شك تعد أكبر منطقة في الطواشة وتجارة اللؤلؤ، بعدها جاءت (لنجة) لكن في الثلاثينات ضعفت (لنجة) وحلّت مكانها إمارة (دبي) التي استمرت منذ تلك الفترة في التنامي والتطور، حتى تمكنت من جذب تجار العالم إليها، وتعتبر حاليا مركزا هاما وسوقا رحبا لتداول اللؤلؤ .. والعالم الغربي يعشق اللؤلؤ ويعتبر لؤلؤ الخليج من أفضل لآلىء العالم، وكانت باريس هي مركز تسويق لؤلؤ الخليج الذي يأتيهم من الهند، وفي آسيا أيضا كان للؤلؤ مكانة كبيرة، وكانت أغلى من المناطق الأخرى، وكانت الصين مركزاً لاستيعاب أي نوع من اللؤلؤ الذي يأتيهم من الغرب، ونحن نعتبر بالنسبة لهم من دول الغرب، وكانت مدينة (شنغهاي) مركزاً كبيراً في الصين وميناؤها من أكبر الموانئ لهذا الغرض، ولكن إلى الآن منطقة الخليج تعتبر أحسن مكان لتسويق اللؤلؤ وفيها أفضل لآلىء العالم.

حذرنا من التعامل مع اللؤلؤ الصناعي من البداية :

ومن المواقف التي صادفتني خلال عملي كخبير لؤلؤ، أذكر فترة غزو اللؤلؤ الياباني أسواق العالم قبل أكثر من ستين سنة، فقد التبس علينا شكل اللؤلؤ في بادئ الأمر، حين كانت المنطقة في عز انتعاشها، وذلك في الثلاثينات تقريباً، وكانت حركة السوق جيدة، ولؤلؤ الخليج لا يتوقف الإقبال عليه إطلاقا رغم أن السوق بصفة عامة يخضع إلى قوة العرض والطلب، فلم نحس إلا بهذا اللؤلؤ الياباني يغزو الأسواق بأسعار متدنية، ووجد إقبالاً ورواجاً سريعاً من تجار اللؤلؤ الأجانب ، ولكن ذلك لم يخدع خبراء اللؤلؤ، فأنا صحيح لم أميزه في أول الأمر، ولم اشك في اختلافه عن الطبيعي، إلا أن إحساسي من الداخل لم يكن يميل إليه، وشعوري أن هذا اللؤلؤ لن يدوم .. نعم نظرته واحد ومصدره واحد لكن الإحساس هو الفرق، وعلى سبيل المثال فعندما تشتري سمكاً هل تستطيع تمييز السمك الحر الطليق في البحر من السمك المأسور في حظائر تربية الأسماك في البحر؟ نعم هذا سمك وهذا سمك، إلا أن إحساسك بأن طعم كل منهما يختلف عن الآخر، وهذا ما حصل معنا بالضبط، فاللؤلؤ الصناعي أو الياباني كما يعرف لم ينكشف إلا بعد الاستعمال والتداول، فلما انقضى العمر الافتراضي له، انكشف وظهر على حقيقته، أما اللؤلؤ الطبيعي فيبقى طبيعياً ابد الدهر، فنحن نتعامل معه منذ مئات السنين، لم نلاحظ أي تغيير حدث لشكله أو لونه أو صفاته ، من منطلق الإحساس بدأنا نرشد التجار الذين استحسنوا شكل اللؤلؤ الصناعي في بدايته، وأبدينا رأينا حسب خبرتنا، ونصحنا بعدم الاندفاع والاستعجال في اقتناء هذا اللؤلؤ الغريب على المنطقة، فنحن حسب خبرتنا لا ننصح على الأقل في التسرع نحو شرائه، لكن الناس عندما قارنوا فارق السعر بينهما اقبلوا على الصناعي الرخيص، وهذا بلا شك كان من الأسباب التي ساهمت في تلك الفترة في إرهاق لؤلؤ الخليج الطيب والفاخر. نعم كانت اللؤلؤة المستخرجة من بحر الخليج العربي تساوي الكثير للذين يعرفون قيمتها فيصل سعر اللؤلؤة (الدانة) الواحدة إلى حوالي ستين ألف روبية، وهذه اشتراها (حسين الفردان) في ذلك الوقت وكانت تزن حوالي ٢٩ شو بمعنى أن /الشو/ كان يساوي أكثر من ألفي روبية، بينما اللؤلؤ الصناعي عندما نزل السوق كان سعر عقد كامل من نوع ال / كام شاهي/ مثلا يساوي ثلاثة آلاف روبية آنذاك، لكن نحن كخبراء نعرفه من نقيضه، نعرفه من لمسنا له من إحساسه في أيدينا، وكل من اقتنى ذلك النوع من اللؤلؤ على مر السنين، ندم وتعرض لخسارة كبيرة. حين ذاك فقط تذكروا نصيحتنا لهم، وتأكدوا أن نظرة ورأي /الخبير / كما قلت سابقا لا يمكن أن تخيب .

وماذا عن الوضع الحالي ؟ :

بعض التجار يدعّون أنه لا يوجد بيع قوي هذه الأيام، وهذا كلام غير صحيح، فأقل تاجر يبيع في السنة أكثر من ٥ ملايين ريال لؤلؤ ، من كان يبيع في ذلك الوقت بهذا المبلغ؟ لو مائة طواش لا يقدرون أن يبيعوا بمليون .. طبعا بدون أدنى شك أن القيمة الشرائية للعملة تختلف في ذلك الوقت، فالمليون يمكن يعادل عشرة ريالات في ذاك الوقت، فمستوى البيع لا يظل ثابتا وكما هو في الماضي هو الآن في الحاضر، فاللؤلؤ دائما يخضع لحركة السوق حسب العرض والطلب، وأهل الخليج لم يتعودوا اقتناء اللؤلؤ إلا حديثا، أما في الماضي فكانوا فقط يتعاملون معه كسلعة ومصدر رزق في البيع والشراء، وهذا طبعا أعطى منافسة في المنطقة حاليا لاقتناء اللؤلؤ واستخدامه، ولكن الخبير يظل سلعة رائجة أبد الدهر طالما سوق اللؤلؤ قائم في العالم.

الطـرب البحـري (النَّهْمَـة)

جاء في «لسان العرب» لابن منظور في تعريف "النهمة" مايلي :

النهمة بلوغ الهمة.. والنَّهامة افراط الشهوة في الطعام.. ونهم ينهم بالكسر نهيما وهو صوت كأنه زحير.. وقيل هو صوت فوق الزئير .. والنَّهَّام الاسد لصوته.. والناهم الصارخ.. ونهمت الابل بالفتح نهما بكسر الهاء اذا زجرتها لتجد في سيرها.. والنهام من الابل التي تطيع على النهم وهو الزجر ، والنهم زجر الابل تصيح بها لتمضي .

هذا التعريف لمعنى "النهمة" يبدو قريبا من (الحداء) والحداء معروف عند العرب، وهو الغناء للابل كي تجد في سيرها، ومن هنا تظهر لنا العلاقة بين المعنى اللغوي للنهمة و(الحداء) وكيف ان التفسير اللغوي للنهمة، جاء مرتبطا بالطرب البحري، من حيث أننا اذا اعتبرنا الحداء لحث الابل على السير، فإن النهمة لحث البحارة على العمل.

❖ في هذا الجانب ندخل مع الوالد حارب راشد الحارب في دهاليز هذا الفن وفنون اخرى، سواء ماهو ممارس في البحر او على اليابسة، فهي ذكريات محفورة في ذاكرته كأنها يوم امس، لا تزال تلامس مشاعره وتفيض بعبق الماضي الجميل الذي يعج بالاحداث المتنوعة ٠٠ وقبل الدخول في عالم الوالد حارب بن راشد نستطلع شيئا من حياته و شخصيته من خلال هذه السطور:

❖ ولد في الدوحة عام ١٩٢٤م في حي المرقاب القديم.

هو حارب راشد الحارب بن مبارك بن مسعود البوشمه ركب البحر لاول مرة وعمره لم يتجاوز سبعة أعوام، عمل "تبابا" (وهي تسمية للشخص الذي يدخل البحر صغيرا) لمدة سنتين في "سنبوك" محمد بن غانم الغانم، والسنبوك هو(نوع من انواع سفن الغوص والاسفار يصل طوله الى ستين قدما وحمولته من ١٥ الى ٦٠ طنا وبحارته من ١٥ الى ٢٠ بحارا) ، ثم ركب البحر "رضيف" وهو الشخص الذي "يقوم بخدمة البحارة على ظهر السفينة" ، وظل يتنقل مع عدد من اصحاب السفن الى ان استقر مع صالح بن عبدالله الطعان وعمره لم يتجاوز آنذاك العشر سنوات، وبعد عام انتقل للعمل "سيب" مع يوسف بن احمد السليطي واستمر معه تسع سنوات، ويعتبر السيب من المهام الصعبة على ظهر السفينة، وعليه تتوقف حياة الغواص في قاع البحر.



بعد هذه الرحلة في حياته ترك الوالد حارب بن راشد العمل بالغوص، وانتقل الى ركوب الاسفار، وكان عمره لا يتجاوز ال ٢٢ عاماً، فتوجه في اول الامر الى سواحل فارس مع محمد بن صباح وسلطان العلي، حيث كان للاسفار شأن عظيم ومن يركب الاسفار يصيب من الرزق الشيء الوفير، وان كان فيها من المشقة والكلفة الكثير ٠٠ ومضى في هذه الصنعة الشاقة حيث تعددت فيها اسفاره الى مناطق وبلاد بعيد، وكان سفرهم ممتدا بين الهند في كلكوتا وبومبي وسواحل افريقيا في ممباسة وزنجبار ومقديشو ومكلا في اليمن وغيرها من القرى والمدن الصغيرة الساحلية في العالم ٠

وبعد تركه الاسفار عمل الوالد حارب بن راشد في شركة النفط العاملة في الكويت التي استقر بها لمدة غير قصيرة منذ بدايات استخراج البترول في الكويت عام ١٩٤٨م، وامضى ثلاث سنوات يعمل في الشركة، ثم عمل في الحكومة ، الى ان قرر ترك الكويت بعد ان استدعته والدته، ولكنه استقر في مدينة الدمام بالسعودية ، وبعد سماع نبا وفاة والدته عاد الى موطنه قطر، وكانت الاوضاع الاقتصادية قد تحسنت وعم الخير والرخاء فعمل في الحكومة.

هذه الحياة الوفيرة بالاحداث المحفورة في ذاكرة الوالد حارب راشد الحارب تدعو الى تسجيل جزء منها فيما يتعلق بتاريخ قطر ابان حياة الغوص على اللؤلؤ ، خاصة وهو من الرواة المعتمدين في هذا المجال ٠٠ معا نستطلع بعض الحياة الخاصة حول المراسم المتبعة قبل وبعد الغوص، والفنون السائدة بين ابناء المنطقة سواء على ظهر السفينة او على اليابسة ٠٠ بالاضافة الى "النهمة" التي ابدع فيها، واسماء السفن واصحابها المشهورين في قطر ٠٠ يقول الوالد حارب بن راشد في هذا الصدد :

يجب ان نقر في البداية ان للنهمة اثراً كبيراً على البحارة ، فترى البحارة يقومون باعمالهم الشاقة على انغام (النهمة) بقوة ونشاط ناسين اتعابهم طوال اليوم، لا سيما اذا كان النهام حسن الصوت ٠٠ فالنهمة جزء اساسي في الغناء البحري، وهي بالاضافة الى ذلك مرتبطة بالشعر او كما يطلق عليه الموال، وهي الكلمات التي يؤديها بصوته الجميل "النهام" فالموال يعد من فنون الشعر الاصيلة التي ارتبطت باغاني البحر التي يؤديها النهام، فبصوته الشجي يقوم على تحفيز البحارة ودفعهم للعمل بروح جماعية ٠٠ وهذا النوع من الغناء الشعبي يؤديه النهام في قوالب غنائية بديعة، لاجل تحريك مكامن الاحاسيس لدى البحارة، لاتدرار عواطفهم واثارة شجونهم، وذلك للتعبير عن دواخلهم ومعاناتهم بتلقائية من خلال تحسسه للمعاني البليغة التي يختزنها الموال، وبالتالي تجد صداها في اعماق احاسيس البحارة، متداخلة فيها تشكيلات وزخرفة ايقاعات الطبول، وهي التي تدفعهم بتلقائية للعمل بحماس وهمة عالية، رغم ما يعانونه في نفوسهم من مشقة العمل وفراق الاهل والاحبة.

وفي وسط السفينة بعد الابحار نحو الغوص يقسم رجال البحر «النهمة» الى مراحل كل مرحلة لها اداؤها الخاص. فعند التجديف هناك نوعان من النهمة خفيفة ومتوسطة، وإخراج الشراع له نهمة خاصة، اضافة الى الخطفة، وهي رفع الشراع الى ان يصل إلى أعلى «الدقل» له تصفيق مقنن مع نهمة خاصة، وهناك ايضا مشاركة جماعية لمراحل اخرى خاصة عند فلة «الجيب» وهو أصغر اشرعة السفينة مثلث الشكل، وهناك ايضا نهمة عند «لمة الجيب» اي انزاله من الدقل.

يواصل الوالد حارب بن راشد ذكرياته مع الموال فيقول :-

لقد بدأ ولعي بالموال منذ نعومة اظفاري، وصار ملازما لي مع بداية حياتي في البحر، وكما قلت انني دخلت البحر وانا لم اتجاوز السبع سنوات ، فقد تهيا لي جو ملائم لحفظ الشعر، فتولعت به في شبابي واطلعت على اصوله وجالست مبدعيه، فتوفرت لدي حصيلة كبيرة من المواويل لشعراء قطر والخليج ، وتواصلت مع حفظ وتدوين المواويل سنوات طويلة، ومارست كافة انواع واشكال الفنون المعروفة في الخليج، وتوطدت علاقاتي مع كثير من القائمين على هذه الفنون، سواء من الشعراء او المؤدين لفن الصوت واللعبوني والخماري.

وعند الحديث عن الفنون البحرية، يجب ان نذكر ان لكل فن من هذه الفنون لونه في كل منطقة، ففن "الفجري" يؤدونه في قطر وداربن والدمام، اما في البحرين وفي الكويت فيؤدون العدساني والحدادي، ولكن هم جميعا يشتركون معنا في مثل هذه الفنون، وهناك الكثير من كلمات الشعر الموال يؤدى بحري ٠٠ وعندنا في قطر اشهر من يدق الطبل سعد بن عواد (رحمه الله) ٠٠ ومن اشهر النَّهامين وهم كثر وجميعهم نحتسبهم عند الله تعالى جهام بن مبارك وماجد بن سلطان وجوهر بن بطي وسعد بن بطي وعبدالله البدر وعلي محسن بوحدود ووبوجلوف وشاهين بن فارس وراشد الماص وغيرهم من النهامين في قطر.

ذكريات أيام الغوص مع الوالد حارب بن راشد :

لكل مرحلة من مراحل الغوص طقوس خاصة تنفرد بها ، فالانتهاء من صناعة السفينة قبل بدء الخدمة عليها، له طقوسه الخاصة التي تتوج باحتفالية خاصة يمارس على ظهرها لون خاص من الوان الفنون البحرية المتميزة ، وايضاً رحلة وداع البحارة الى موسم جديد لها ايضا طقوسها، حيث يخرج اهل (الفريج) جماعات من نساء واطفال وكبار السن، لوداع الرجال في رحلة جديدة الى عرض البحر للغوص على اللؤلؤ ، ويكون مكان تجمعهم شاطيء البحر (السيف) حيث تتجسد هنا حقيقة الالتحام والصفاء والتآلف بين الاهالي، وهم يتمنون لابنائهم العودة سالمين غانمين ، وهناك ايضا مرحلة هامة من مراحل الغوص، وهي

خروج النساء والاطفال عند سيف البحر يتحرون عودة البحارة ، وهي لحظة انتظار صعبة يمارسون فيها احد، الطقوس المتميزة، حيث يحضرون سعفة من النخيل، ويمثلون انهم يكوون بها البحر، ويؤدون خلالها اغاني مرتبطة بهذه المناسبة، وهي أهزوجة مشهورة عند اهل الخليج، يرددون فيها " توب توب يا بحر اربعة والخامس دخل"وهي الشهور المحسوبة لعودة البحارة ، ويتكرر وجود الاهالي على سيف البحر حين عودة البحارة او ما يسمى بعرف اهل الخليج (القفال) وهي مرحلة لها طقوسها ايضا، فهم على نياتهم ينتظرون عودة ابنائهم، لا يعرفون ما الحوادث التي تعرضوا، لها خلال اربعة اشهر من المغيب وسط البحر، الا من النزر اليسير من الاخبار التي ياتي بها بعض الرجال السابقين في العودة، او من تجار اللؤلؤ الذين يجوبون البحار لمساومة النواخذة لشراء اللؤلؤ، وكما ذكرنا لا احد يملك البيع في البحر سوى ملاك السفن او من يخول بذلك.

كان سيف الدوحة معروفاً، وكانت منطقة الجسرة كلها اسياف ممتدة من فريج الغانم والسلطة والبدع والخليفات والرميلة، هذه هي اماكن تجمع البحارة من كل الاجناس، لا يوجد فرق بين هذا وذاك ، وانا هنا اتكلم عن حقبة عايشتها من حياة حاكم قطر المغفور له الشيخ حمد بن عبدالله ال ثاني ، ثم اخوه المغفور له الشيخ علي بن عبدالله، واللذين في عهدهما توقف الغوص وفاض الخير على قطر مع ظهور البترول.

الفنون تزدهر في (الدور) عند حلول فصل الشتاء وفي قطر اسماء متميزة :

تتسم حياة رجال البحر في زمان الغوص الغابرة بالقسوة فكلها حياة بؤس وشقاء وتعب ، بل اذلال من كثرة المسئوليات التي يتكبدونها منذ الاستعداد لبدء الموسم الى الانتهاء منه ، ولكن مع كل تلك القسوة هناك فسحة من الانشراح تتجسد في فصل الشتاء، وفيها يتاح للناس الاستقرار في اماكنهم ، فتتغير الحياة، وتظهر بينهم حالة من الاستقرار، تتم خلالها لقاءات في تجمعات خاصة، يمارسون فيها فنونهم على الارض ،وهي ذاتها التي كانوا يمارسونها على ظهر السفينة، ولكن الفرق هو طبيعة الموقع والهدوء والراحة ، ففي دول المنطقة كلها هناك اماكن خاصة لممارسة الفنون يطلق عليها اسم (دور) وهي صيغة الجمع لكلمة (دار) أو سكن، وفي الدوحة هناك اسماء لدور اشتهرت باسماء اصحابها من ممارسي فنون البحر مثل (دار مجلي) ودار (ادريس بن خيري) و (دور الخبابيز) و (دار بومايد) في الرميلة ودار (ربيع بن فرحان) في السلطة ، وتوجد دور اخرى في مناطق متفرقة من البلاد مثل الخور والوكرة وعلى سبيل المثال هناك دار (جوهر بو سالمين) و دار (معيوف) ودار (البوهيف) وغيرهم ، ولصاحب كل دار رجاله الذين يتراوحون بين ٣٠ و ٤٠ شخصاً متماسكين، تجمعهم كلمة واحدة ووقفة واحدة، ولصاحب الدار مكانته الخاصة بين اصحاب الدور الاخرى ، فيتبادل اصحاب (الدور) الدعوات والزيارات، يقدمون خلالها افضل ما لديهم من كرم الضيافة وحسن الاستقبال والتنافس في تقديم افضل ما لديهم من الاداء من حيث الغناء الفردي او الجماعي، وهي اغاني الغوص التي تجد لديهم حنيناً كبيراً وحماساً في الاداء يبدعون فيها ويتبارون في أيهم الافضل في الامتاع.



ويمتد التواصل في هذه الفنون البحرية بين رجال دول المنطقة ايضا ، حيث يتم بينهم تبادل للزيارات والدعوات ، ولا تمنعهم مشقة المسافة بين هذه الدول التي تبعد ما بين قطر والبحرين على سبيل المثال بواسطة السفن الشراعية ما بين ٤ الى ٥ ايام، وتزداد تلك المسافة مع مناطق دارين والدمام في السعودية ومع الكويت وسلطنة عمان ، ولكن الذي يدفعهم الى التواصل هو الرغبة في تبادل الفنون والمنافسة وحبهم لهذا الغناء والفن، وهو ما يدفعهم ايضا الى تحمل المسافات والذهاب لعرض فنونهم وتقديم ما لديهم ، ورغم تشابه الفنون الخليجية الا ان لكل منطقة خاصيتها ، فنحن في قطر لدينا فننا الذي نجيده ونحسن اداءه ، كما هو الحال في الكويت والبحرين وباقي دول المنطقة.

وهنا في قطر كان الرجال يتجمعون في الدور بعد (القفال) في وقت المساء، اما في الصباح فكل صاحب مهنة يمارس عمله، فهناك من يذهب لصيد الاسماك، وهناك مع يعمل في غزل الشباك، وهناك من يعمل (القلافة) وهي صناعة السفن، ويعمل بها ناس متخصصون ولهم وضعية خاصه لدى النوخذة، عند استعداده لبناء سفينة جديدة للموسم القادم ، واذا كان النوخذة له اهتمام بالفنون ويحب الطرب، فيبادر بدعوة اصحاب هذه الدور، كي يشاركوا في تدشين العمل في السفينة، فيحضرون رجالهم وعدتهم، ويبدأون باداء فنونهم بالطبول والطارات والغناء، ينطلقون اولا من مكان الدار الى مكان بناء السفينة، ويؤدون هناك كافة انواع الفنون المعروفة عند اهل البحر، مقابل وجبة افطار الصباح ووجبة الغداء، كما يزود النوخذة صاحب الدار ببعض المؤن لرجاله ٠٠ونفس الذي يطبق مع النوخذة يطبق مع صاحب السفينة، هناك ايضا مكان آخر تمارس فيه الفنون بدعوة خاصة وهي مراسم الزواج، حيث يتولى اصحاب الدور احياء الفرح لابناء الحي، وما على والد المعرس الا دعوتهم ومكافأتهم بشيء من الولائم التي تتوالى في العرس لمدة يومين.



وهناك اسماء من المطربين الاوائل في قطر الذين اشتهروا في هذه الدور، من بينهم حسب ما تسعفني ذاكرتي حيث لحقت على مطربين منهم محمد بن سالم واخر اسمه مبارك بن ربيعه، هناك مطرب اسمه محمد الاحبابي والفنان الشعبي المعروف سالم فرج ومطرب اسمه محمود اللنقاوي، وهناك ايضا مطربون من دول الخليج يأتون الينا في الدوحة، ولكن ايام السفن الشراعية كانت الزيارات بين دول الخليج صعبة، فالمسافة بين البحرين وقطر تقريبا من ٤ الى ٥ ايام ولكن بعد ذلك حين دخلت السفن "السفارة" ذات محركات الديزل اصبح تبادل الزيارات سهلاً نوعا ما في ذلك الوقت.

وللنساء ايضا فرقهن الخاصة لإحياء الافراح، ولديهن فنونهن الخاصة بهن، ويعملن تحت قيادة واحدة ، وكانت هذه الفرق النسائية تحيي العديد من المناسبات، سواء في الافراح او في مراسم خاصة يؤدينها في الاحياء (الفرجان) خاصة الممتدة من البدع والجسرة والخليفات، مثل مناسبات رمضان وعيد الفطر وعيد الاضحى التي تتخللها ممارسات بقيت حتى الان تمارس كمادة محفوظة في التراث ، ثم ان النساء لهن طقوس لا يشاركن الرجال فيها ، كما ان هناك مناطق خاصة تسمى (المسطاح) وهو مكان مستو خارج الحي (الفريج) يطلقون عليه (مسطاح البنات) يذهبن اليه لاداء فنونهن الخاصة، واشهره مسطاح في أم غويلينه ومسطاح في الجسرة وآخر في مشيرب .

هناك فنون اخرى مثل (الطمبورة) و (الليوة) كان الناس في قطر وايضا في باقي دول الخليج يجيدونها، وهي من الفنون الوافدة التي تلقى رغبة وطلباً عليها من العامة، ولها ايضا طقوسها

الخاصة بها، حيث لا يتداخل هذان الفنان بعضهما ببعض، فلكل منهما لونه وطريقة ادائه الخاص به، فالليوة يبدأ العمل بأدائها من المغرب ولا تتوقف الا عند الصباح ، اما الطمبورة فتبدا من العصر حتى الفجر.

حياة الناس بعد مرحلة (القفال) وعودة الاستقرار في البلاد :

ننتقل الان لشرح المرحلة التي تعقب القفال وعودة البحارة الى (الديرة)، فهنا يبدأ الرجال بعد جر السفن على اليابسة بالحضور الى مجالس النواخذة الكبار لاستلام نصيبهم من (التسقام) وهي التقسيمة التي ينالها البحارة من ارباح السفينة، بعد ان تتم مرحلة بيع اللؤلؤ وتحديد نصيب البحارة والعاملين في السفينة، حيث ان لدى النواخذة حساباتهم الخاصة ، فتوزيع الارباح يتم بالتساوي حسب منزلة ومهام العاملين في السفينة ، ويتم التوزيع وفق حصيلة المبلغ الذي يستحقه، بعد خصم السلف او الدين الذي اخذه من النوخذة قبل بدء رحلة الغوص ، والدين هو المبلغ الذي استلفه لتمويل بيته وتجهيز اهله، قبل الانضمام الى السفينة التي سوف يعمل عليها مثل التمر والسكر والملح والحطب وغيرها من المؤن المهمة للمنزل ، كما ان هناك من البحارة من عليه (رادي) وهو عبارة عن سلف متراكم لم يستكمل سداده من خلال (الدشة) الاولى فينتظر الى (الدشة) الثانية لكي يستطيع استيفاء ما عليه، وهنا لا يدفع النوخذة له اي مبلغ، بل يرحل جهده الى موسم آخر لسداد ما عليه، ولا يكون له نصيب في هذا الموسم، وعليه ان يواصل العمل لسداد الدين الذي عليه، وتحدث خلافات واشكالات كبيرة بين النواخذاة البحارة في هذا الجانب ، فهنا يلجأ بعض البحارة الى مخرج لهذه الاشكالية، بعرض نفسه على نوخذة آخر فيطلب منه سداد ما عليه من (رادي) على ان يدخل معه البحر في المرة القادمة، فإذا كان من البحارة الاشداء الذين يعتد بهم، يقبل النوخذة العرض ويدفع عنه الدين المطلوب عليه ، وتحصل مساومة في هذا العرض، حيث يحاول النوخذة السابق التمسك به، ويعرض النوخذة الجديد مبلغاً مغرياً لتحريره من الدين ، وفي النهاية يتم التوافق بين كل الاطراف، ويضمن البحار سداد دينه ويحصل على (التسقام) ويتحقق له الدخول في الموسم القادم دون ديون.

في قطر اهم مواقع الهيرات واحسن انواع اللؤلؤ وتجمع سفن الغوص:

يواصل الوالد حارب بن راشد في ختام هذه الجولة حديثه حول جزئية مرتبطة بحياة البحر وممارسة الحياة فيه :

مغاصات قطر تعتبر اهم مواقع الغوص على اللؤلؤ في الخليج على الاطلاق، والكل يعرف

ذلك جيدا، ومن بعدنا البحرين. أما مواقع الكويت فلا يوجد لهم ذكر في الغوص، لذا نجد سفن الغوص تأتي من الكويت ومن مسقط ومن دارين والدمام والبحرين ومن لنجة تجتمع هنا في هيرات قطر ،وترى منظر سفن الغوص هنا على هيرات قطر في منتهى الروعة لا تستطيع التمييز بينها الا بالعلم المعلق على سارية السفينة، فنعرف جنسية كل سفينة.



وكان لكل بلاد من منطقة الخليج شخص متميز يطلق عليه "سردال" ونحن في قطر كان لدينا ابراهيم بن نصر الذي يقود سفن اهل قطر في "الدشة" و "القفال" ٠٠ والسردال كما هو معروف هو دليل الغوص، بمعنى هناك بعض النواخذه يدخلون الغوص بالسفن ولا يعرفون الاتجاهات الصحيحة نحو الهيرات أو مواقع اللؤلؤ وربما يؤدي الى ان يضل طريقه وينحرف عن الاتجاه الصحيح وهنا يأتي دور "السردال" حيث تتبعه جميع السفن، فعليه تكون مسئولية كل السفن التابعة له، فهو عارف بمواقع اللؤالؤ ويعرف مواقع النجوم وحساباتها، ويعرف مواسم الدخول والخروج من البحر، ومتى يكون البحر هادئا أو دافئا أو عميقا، ومتى يكون الهواء شديدا، وما هي الاماكن التي يحتمون بها عند ضربة الهواء ، وهو الذي يعطي الامر في نهاية

موسم الغوص، فعندما يرفع الراية على سارية السفينة معلنا موعد "القفال" تتجمع السفن التابعة لكل بلد ويبداون العودة خلف "السردال" الذي يكون في الاساس من الصفوة والمقربين من شيوخ البلد واعيانها.

أما وظيفة النوخذة في السفينة فهي مختلفة، فهناك النوخذة الذي يعمل لنفسه في السفينة، وهناك النوخذه الذي يعمل للغير في سفينة غير ملكه، والطواويش في هذه الحالة يجوبون مواقع اللؤلؤ بالقرب من السفن والنوخذاة الذي يعمل لنفسه في سفينته يملك حرية بيع اللؤلؤ وهو في البحر لهؤلاء الطواويش، اما النوخذه الذي يعمل للغير فلا يملك بيع اللؤلؤ، الا بعد العودة وتسليم حصاد الموسم الى صاحب السفينة الذي يقوم بفرز اللؤلؤ وتقسيم المحصول على العاملين في السفينة بما فيهم النوخذه.

والطواويش يجمعون ما يحصلون عليه وسط البحر من السفن، ويتجهون بالمحصول الى مناطق بيع اللؤلؤ المشهورة في المنطقة آنذاك وهي دبي والبحرين، وهناك يبيعونها إلى تجار اللؤلؤ المعروفين الذي يحملون لؤلؤ الخليج المعروف بجودته ونقائه الى الدول التي تهتم باللؤلؤ، وفي مقدمتها الهند.

في ختام هذه الجولة يستعيد الوالد حارب بن راشد ذاكرته ليعد لنا أسماء رجال عاصرهم واسماء سفن ونواخذ كان لهم معه ذكريات لا تنسى فيقول :

أرجو ان لا يفوتني احد منهم، لأنني سأعتمد على ذاكرة تعود الى اكثر من اربعين أو خمسين سنة ، فهؤلاء الرجال عرفنا معدنهم ومواقفهم الكبيرة من خلال معايشتنا لهم، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من لا يزال على قيد الحياة، وإنني ساذكر أسماء رجال من اهل وقبائل قطر المعروفين بغض النظر عما وصلوا اليه في وقتنا الحالي.

كان النوخذة الكبير رئيس الغواصين في قطر هو ابراهيم بن نصر، وكان عنده سمبوك يسمونه مشهور، وسمبوك اخر يركب فيه اخوه علي بن نصر، بعدهم يأتي من النواخذه الكبار عبدالله بن صالح السليطي كان عنده سمبوك تم بيعه وشراء جلبوت كان يرجع ملكيته الى عبدالعزيز بن جاسم، وهناك عبدالرزاق بن حمد وأخوه سعيد بن حمد وصالح بن جمعة عندهم سمبوك يغوص لحساب جابر بن محمد وعبدالله بن راشد الفضالة الذي كان يملك سمبوك فيه نواخذه ومحمد بن شاهين العسيري عنده سمبوك وسلطان البدر عنده سمبوك وعبدالله بن خميس السليطي عنده جلبوت وجمعة بن احمد عنده جلبوت ومحمد بن صباح ويحيى بن صقر وعيسى بن خليفة الهتمي ومحمد بن سعيد المالكي.



ومن أنواع السفن واسمائها واصحابها ايضا نأتي على ذكر خالد بن علي ووالده فلديهما جلبوت اسمه برزي وبعده اشتروا القايد، وهناك ايضا عنيق بن صقر وعنده جلبوت وصالح الطعان عنده جلبوت ومبارك بن هتمي لديه جلبوت وابراهيم بن حيي عنده سمبوكين احدهما اسمه مساعد ومحمد بن حسن المالكي وعنده سمبوك، وهناك راشد بن خليفة وعيسى بن خليفة عندهما سمبوك اسمه عناد والاخر اسمه حصان ويوسف بن جابر عنده سمبوك جاروف، وهناك جاسم بن سعيد واخوه محمد بن سعيد ويركبون سمبوك يسمونه المنور وعلي بن بادي عنده جلبوت ٠٠ ثم ناتي الى يوسف بن احمد السليطي وعنده ثلاثة جوالبيت يركبون فيه مع اخويه علي وحسن وهناك مهنا بن حمد عنده جلبوت يركب فيه نوخذه اسمه سالمين.

ومن الاسماء الاخرى ايضا هناك سلطان بن ماجد واحمد بن ماجد لديهما جلبوت وعلي بن احمد المالكي عنده جلبوت فيه خادمه اهم الادهم كما يطلق عليه في منطقة المرقاب وكان



هناك سمبوك يطلق عليه مغديم ملك شاهين بن صالح ولما توفي اشتراه الجفيري واشتغل به سفار وعنده سمبوك اسمه الطالبي وعنده جلبوت يركب فيه اخوه عبدالله وهناك عبدالله الخال ولد محمود عنده سمبوك اسمه الميمول هناك ايضا سلطان المسلماني عنده سمبوك اسمه فرزان وخالد المسلماني عنده سمبوك ومحمد بن تركي عنده جلبوت وسالمين بن ناصر السويدي عنده سمبوك وجلبوت ومحمد بن خليفة السويدي البوعليان عندهم شوعي في الرميلة ويوسف السيد عنده سمبوك وعبدالعزيز بن حسن الزياره واخوه اسماعيل بن حسن الزياره جاؤوا من راس الخيمه وعندهم بوم وسمبوك وجلبوت وكان عبدالعزيز عنده البوم وفي موسم الغوص يركب كنوخذه في السمبوك واخوه اسماعيل يركب الجلبوت.

ولدينا ايضا من الاسماء المعروفة في قطر من النواخذه واصحاب السفن محمد بن سالم العامري وعنده جلبوت وهناك مبارك بن حسن لديه جلبوت وايضا محمد بن علي الشاعر من الغواويص المعروفين واخوه مبارك الشاعر لديهما جلبوت وعبدالله اسماعيل عنده جلبوت اسمه العامرية وعيال بن عمران في الغارية عندهم جلبوت ٠٠ وفي منطقة الخور نأتي على ذكر بومطر لديه جلبوت غاص بها لمدة سنتين وعيال الزيرة عندهم سمبوك واحمد بن عيسى المهندي عنده سمبوك وبن محري عندهم جلبوت وعيال الساده عندهم خشب في الرويس ٠٠ اما في الوكرة فنأتي على ذكر سعد بن جبران البوعينين عندهم سمبوك والباحسين عندهم سمبوك وحسن الشاعر عنده جلبوت.

القـلاّفـــون
(صنّـاع السفن)

ارتبطت صناعة السفن بمهنة الغوص على المحار واستخراج اللؤلؤ منه والتجارة والأسفار التي مارسها أبناء الخليج عموماً ولا يزالون.. وتأتي قطر في المرتبة الرابعة من حيث عدد السفن والثانية من حيث عدد العاملين عليها، وفق إحصائية تعود إلى عام (١٩٠٧م) من كتاب (دليل الخليج)، حيث ذكرت الإحصائية أن عدد السفن في الخليج عامة ٤٥٠٠ سفينة بين صغيرة و كبيرة و أما عدد العاملين عليها فكان ٧٤٠٠ بحار.

وصناعة السفن في منطقة الخليج تسمى (القلافة) وبناء السفينة (وشار السفينة) وصانع السفينة يسمى (القلاّف) .. و (القلافة) كلمة عربية ورد ذكرها في كتب اللغة فيقال (قلف) السفينة أي خرز ألواحها بالليف وجعل في خلالها القار، وهي في هذه الحالة تعني ربط أجزاء الخشب بالحبال أو خياطتها كما يخاط القماش، وهذا ما كان يحدث بالفعل في الماضي قبل استخدام المسامير الحديثة في منطقة الخليج ، وبالرغم من اختفاء طريقة بناء السفن بالحبال (القلافة) إلا أن التسمية استمرت كتعريف لهذا النشاط الإنساني.

وقد ازدهرت صناعة السفن لدى سكان المناطق الساحلية المتمثلة في القرى المبنية على شطآن مياه الخليج المرتبطة مباشرة مع البحر باعتبارها وسيلة رئيسية للنقل، واستخدمت فيها المراكب والسفن الشراعية للغوص بحثا عن اللؤلؤ ولصيد الأسماك والتجارة، بيد أن تقاليد وتقنيات هذه المراكب تغيرت بحكم عامل الزمن والتطور، فقد كان صانع السفينة هو الذي يقدر حجم المركب الشراعي وطوله ويقدم رسماً بيانياً بطبعة زرقاء، تتضمن المقاييس بدقة تامة والتي من شأنها أن تصمم مكانة السفينة وسلامتها وقوة تحملها .. ويسمى المشرف على صناعة السفينة (الأستاذ) وهو صاحب الكلمة الأولى والأخيرة على بقية طاقم العمل في الورشة، ويتمثل وحده في التخطيط والأشراف على التنفيذ والتأكد من صحة وسلامة التنفيذ في كل مرحلة من مراحل إنشاء السفينة، وتقع عليه مهمة وضع أسس البناء الهيكلي لها ، أما (القلاف) فعليه الالتزام بتنفيذ تعليمات (الأستاذ) الذي هو بدوره يحترم ملاحظات غيره من البحارة وربابنة البحر (النواخذة) الذين عادة ما يكونون متواجدين في أماكن صناعة السفن لخبرتهم البحرية العريقة التي أتاحت لهم معرفة عيوب السفن بعد تجربتها في رحلاتهم المختلفة .

❖ في هذا الصدد نستضيف أحد مشاهير مهنة القلافة في الخليج وهو الوالد (يوسف الماجد) وهو من عائلة توارثت هذه الصناعة مند عدة قرون ، وعائلة الماجد امتهنوا حرفة القلافة وتوارثوها أجيالا متتابعة ، وجدهم (ماجد) الذي ينتسبون إليه عمل قلافاً في عهد الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني حاكم قطر ومؤسسها (رحمه الله) ، وقد صنع له بتيلاً عام ١٨٨٠م ، كما عمل له سنبوكا وأنواعا أخرى من السفن ، ويذكر أن البتيل الذي بناه (ماجد) كان مخطوطاً على ورقة بالفحم عثر عليها يوسف ضمن مقتنيات، وتعلم منها الكثير.



حول مهنته في (القلافة) يقول الوالد يوسف الماجد:-

تحتاج مهنة القلافة إلى نشاط وهمة وطاقة، وهذا شرط أساسي في هذه المهنة، ولابد أن يكون القلاف صاحب مواصفات جسدية عالية، لما تتطلبه الصناعة من جلد وقوة واحتمال ، ويضيف "أن عمل القلافه حار ويحتاج إلى شخص يكون جسمه حاراً، حتى يستطيع السيطرة على الحرفة ، والشخص الذي يرغب أن يكون قلافاً يمر بعدة مراحل كل مرحلة منها تستغرق فترة من الوقت، ربما تجاوزت السنة أو السنتين على حسب قدرات الشخص المتدرب.

❖ يوسف حسن الماجد - اشهر (قلاف) في قطر ويعمل منذ سنين ولا يزال في الورشة الأميرية لصناعة السفن.

أما عن مراحل بناء السفينة الجديدة والتي تسمي (الاوشار) والفعل منها (يوشر) وتعني بناء سفينة جديدة ، فيتبع (القلافون) خطوات محددة، وخطة يلتزم بها القلافون في منطقة الخليج العربي وقد يختلف ترتيب بعض الخطوات الجانبية والمكملة عند بعض القلافين عن غيرهم، ولكن لا يمكن أن تختلف الخطوات الرئيسية في تشييد السفينة الجديدة عند جميع القلافين، مهما اختلف حجمها أو نوعها.

ويطلق على العمود الفقري لهيكل السفينة (البيص) الذي ترتكز عليه كل الأجزاء الأخرى مثل الألواح الخشبية المتينة المعروفة الشلامين .فعندما تثبت الشلامين بالمسامير في أماكنها، يبدأ العمل في بناء القسم العلوي الذي يدعى (الفنّة) أما الفجوات الضيقة المتكونة بين الألواح المنثنية فتملأً بخيوط قطنية لضمان منع تسرب مياه البحر من خلالها إلى أن تصل إلى المراحل الأخيرة، وهى الطلاء وصقل السطح الخارجي بالورنيش وإضافة طبقة أخرى من زيت السمك لحماية السفينة من مياه البحر أو اي تلفيات قد تتعرض لها، وتتولى رائحة السمك النفاذ بطرد السوس والحشرات القارصة للخشب.

والسفينة الخليجية كغيرها من السفن، تتكون بنيتها الأساسية من : عمود رئيسي ، وضلوع ، وألواح تغطي هذه الضلوع. وتبدأ عملية البناء بوضع العمود الرئيسي على أرض مستوية تماماً على قاعدة. وهو يسمى في قطر (بيص) ثم تركب الضلوع الخارجية وتسمى (طاري) وبعد التأكد من استقامة (البيص) نقوم بتركيب مقدمة السفينة التي تسمى (الميل صدر) وبعد ذلك مؤخرة السفينة التي تسمى (الميل التفري) بعد الانتهاء من هذه المرحلة، تبدأ مرحلة تركيب الألواح، إلى أن تصل إلى اللوح السابع، عندها يقوم القلاف بتركيب الضلوع الحقيقية للسفينة وتسمى (شلمان) وهكذا إلى أن تنتهي البنية الأساسية، وعند وضع (البيص) يعتني القلاف باستقامته كثيراً. فلو كان أي انحناء في (البيص) ولم يهتم القلاف به فان البناء فيما بعد يكون على قاعدة منحنية، وللتأكد من سلامه (البيص) يقوم القلاف بتثبيت مسمارين أحدهما في مقدمة البيص والآخر في مؤخرته.. ثم يسحب خيطا بينهما فيشكل خطا مستقيما بين مقدمة السفينة ومؤخرتها ، ويظهر بوضوح أي انحناء في البيص إذا وجد ، ونتيجة للجفاف وحالة الخشب الطبيعية فإن ذلك يؤثر بلا شك في وجود انحناء في البيص ويظهر ذلك في كثير من الأحيان ، ولمعالجة هذا الاعوجاج وتصحيحه يقوم القلاف بواسطة قطعة خشبية تسمى (المندي) بغرس مؤخرة كل قطعة في الأرض أما رأسها فيتوجه إلى الجزء الذي يراد تصحيحه من البيص، ونتيجة لهذه العملية يبتعد البيص غالبا نتيجة الضغط في (المندي) ولكي تمنحه تحرك البيص إلى الجهة المقابلة، نستخدم قطعتي مندي، ونتركه مسانداً إلى أن تكتمل السفينة، وبعد ذلك نقوم بإزالته فلا يرجع البيص إلى وضعه الأعوج مرة أخرى.

أن طبيعة بناء السفينة وشكلها يحتم على القلاف استعمال أدوات تتناسب مع الخامة وشكل السفينةوتعتبر رحى الألواح لتكوين جسد السفينة من أهم أعمال بناء السفينة، وكلما كان رحى الخشب، جيداً كانت فرص دخول الماء إلى السفينة أقل، ولا يمكن تحقيق هذا الشرط، إلا من خلال معدات وأدوات معينة ومصنوعة بطريقة خاصة لهذا الشرط، فهناك على سبيل المثال عدة أحجام من المثاقب وعدة أحجام من المناشير، وكل مثقاب له دور محدد ووقت محدد، وكذلك الحال بالنسبة للمناشير، وعلى الرغم من بساطة هذه الأدوات إلا أن طريقة استعمالها على قدر كبير من الفاعلية الأدائية.



إن من أكثر الأدوات التصاقاً بالقلاف (الجدوم) أو الفأس رغم أنه يستخدم أدوات كثيرة، فالجدوم يلازم القلاف أينما ذهب، وهذه عادة عند القلافين، وهي تشير إلى هويته أينما حل، فيقول الوالد يوسف الماجد // عندما نخرج في الصباح الباكر كنا نعلق الجدوم على الكتف ونتوجه إلى ورشة العمل، لان القلافة (جدوم) فلذلك لا يخرج القلاف إلا وجدومه على كتفه، وعندما يرجع مع الغروب يفعل نفس الشيء.

وعندما ينتهي العمل من بناء السفينة الشراعية وتصبح جاهزة، يحاط علماً كل من له شأن في هذا المشروع، بموعد إنزالها إلى البحر، ويدعى الناس الذين يعيشون في المنطقة لمشاهدة هذا الحدث



الكبير، ويدفع الرجال الأشداء هذه السفينة فوق أعمدة خشبية وهم ينشدون الأهازيج التقليدية الخاصة بالبحر، ثم يستقل مالك السفينة ظهرها للقيام برحلة قصيرة.

كان العمل يسير بهمة ونشاط خلال (اوشار) السفينة، وفي كل مرحلة توجد لدينا مراسم خاصة. فمثلاً نقول بعد أن نمد ميل صدر ونحط الموالج مع البيص (حطينا مالجة وبيصة اكلوا من خبيصة) وهنا يحضر النوخذة خروفين، يذبح الأول عند الصدر والأخر عند التفر. وبعضهم يذبح اكثر، وهذه تسمى (هدية) أو كما يقال (دفعة بلاء) ويتم تقسيم اللحم على الفقراء أي نحن لا نأكل منها.. وعند الوصول إلى النصف والذي يطلق عليه (الحشاش) ويستمر البناء إلى أن يصلوا إلى ما يطلق عليه (التريج) ثم نحط (حياب الريل) نكون قد انتهينا من العنوج، إلى أن تخلص الأسطح وحطينا السوارة و المندات وهى جمع (مندي) وتنصب (الدقل) وهو السارية وتكون اثنين أو واحد، والثاني يطلق عليه (غليمي) بعد هذه المرحلة النهائية يأتي النوخذة ويصب (الصل) و(الودج) ويدهن السفينة بكاملها، ويقرر أن كان يريدها غواص أو طواش أو بحار.. وهنا أيضا تبدأ مراسم رمي (طبع) السفينة للتنظيف، وهذا قانون البحر لان يصاحب غمر السفينة في البحر اعتقاد لتطهيرها وجلب الخير منها، لكن الواقع أن هذه العملية لتنظيفها من الحشرات ليس إلا.

أما عملية الإنزال أيضا فلها أيضاً مراسم خاصة: هنا في قطر كان لدينا عدة (دور أزقرت) يرتادها العديد من الشباب في ذلك الوقت يصل عدد كل دار تقريباً ٦٠إلي ٧٠ نفر، يؤدون فنون الغوص، ويتواصلون يوميا للسمر (والوناسة)، وهؤلاء الشباب يستعان بهم في إنزال السفينة بعد الانتهاء من صنعها، فيأتون بطبولهم وطاراتهم يغنون ويجرون (المحمل) إلى البحر.. ومنهم بطبيعة الحال الغاصة والسيوب الذين يقومون بتفريغ الماء من السفينة بعد غمرها بالماء، وتركها لمدة يومين أو ثلاثة أيام في

البحر، عندها يسحبونها إلى البر.. ويورد يوسف الماجد ضمن سياق شرحه عن صناعة السفن حكاية /غيلان ومي/ التي تتحدث عن بداية ظهور الشراع، وكيف اهتدى /غيلان/ إلى صنعه، وقد اشتهرت هذه الحكاية وعرفت بين الناس في قطر، كما أن للحكاية روايات مختلفة تشير إلى أن أول من فكر في الغوص على اللؤلؤ هما أيضا /غيلان ومي/ وأن /مي/ هي التي اكتشفت الشراع الصغير /الجيب/ لأول مرة، بعد رؤيتها لجناح الجرادة الداخلي، وأن /غيلان/ عمل الشراع الكبير بعد رؤيته لجناح الجرادة الكبير .. وحكاية /غيلان ومي/ من الحكايات الشعبية التي يقال أن منشأها خور المهاندة بشمال قطر، وتتحدث عن شخص يدعى /غيلان/ يمتلك سفنا كثيرة للغوص على اللؤلؤ، وكذلك عن امرأة تدعى /مي/ وتمتلك سفنا للغوص، ومن خلال هاتين الشخصيتين تروى الحكاية التحدي الذي نشأ بينهما في السباق على مواقع صيد اللؤلؤ /الهيرات/.

لأن السفن التي كانت تبنى في قطر كانت من النوع المتوسط الحجم، فان المدة التي يستغرق بناؤها بين خمسة وستة أشهر، كذلك فان البناء يبدأ قبل موسم الغوص، وفي هذه الفترة تجهز السفينة حتى يدرك النوخذة موسم اللؤلؤ، واذا أحس القلاف بأنه بدأ يتأخر من موسم الغوص، فانه يطلب المساعدة من زملائه القلافين التي تسمى (الفزعة) فيهبون إلى مساعدته لإنهاء العمل قبل الموسم، فلا يدفع النوخذه أي شيء مقابل عمل هؤلاء القلافين، و إنما فقط الإفطار وهو عبارة عن حلوى وخبز وغداء يتكون من (رز بلحم الخروف) .. ولم يكن التعامل بالنقد هو الأساس، ففي كثير من الأحيان كان النوخذه يستبدل النقود بتوفير الاحتياجات العينية للقلاف والعاملين معه... وكان بناء السفينة /الأوشار/ كما يقول الوالد يوسف الماجد يكلف صاحبها أموالاً كثيرة في الماضي وذلك بحسب حجمها ونوعها .. وتتضمن التكلفة قيمة الأخشاب المستخدمة التي تزيد على نصف ثمن السفينة الإجمالي وأهمها على الإطلاق خشب /الساج/ لمرونته وقدرته الفائقة على التحمل، وهو يجلب من النيبار بالهند، ويتكون من عدة أنواع منه (الشكي ، والفيني ، والمينيج ، والدامان ، وبراده) ويستخدم خشب الساج في صنع جوانب السفينة وسطوحها وأما الأضلاع فتصنع من خشب الفنص وكذلك الساج .. وكذلك المواد الأخرى كالمسامير و الدهانات والفتايل والأقمشة إلى جانب تكلفة أجرة القلافين ... ويشير الوالد يوسف إلى انه صنع العديد من السفن في قطر حسب تصميمات عديدة وأحجام متنوعة، تراوح حمولة بعض أحجامها الكبيرة ما بين ١٤٠ إلى ٣٥٠ طن وذكر من تلك السفن البقارة ، و الشوعي ، و السنبوك، والبتيل وقال عن بعضها، يمكن تحويله من نوع من الخدمة إلى نوع آخر.

والبتيل من السفن القديمة التي كانت موجودة في القرن السادس عشر. وقد صنع يوسف الماجد نموذجاً منها لوزارة الأعلام والثقافة في دولة قطر عام ١٩٨٥م ولا تــزال مستمرة حتى الآن، وتعتبر أنموذجا لطريقة بناء سفن في دول الخليج العربية ككل، حيث يبلغ طول قاعدتها ٩٠ قدما وهذا الحجم

بعد الرجوع إلى المصادر المختلفة يعتبر غير مألوف.
. والبتيل من السفن الجميلة، وله مقدمه مدببة مرتفعة تسمى (كوسية) وهي تشبه (راس الكمان) ومؤخرة عالية ومزخرفه بالنقوش .. والقاعدة عبارة عن جزأين يميل الجزء الأصغر منها نحو عمود المؤخرة ..والبتيل يشبه (البقارة) إلا انه يختلف عنها في الساطور (وهو لوح خشبي في مقدمة سفينة) وهو يشبه الشوعي فإذا قارنا البتيل مع البوم أو البغلة، نجد أنه أقل صلاحية وقدرة منهما على النقل التجاري البحري .. وسرعة السفينة تحددها حركة أو سرعة الرياح واتجاهاتها. ولذلك هناك من يرى أن البوم يفوق سرعته (البتيل).

لقد أدى تنقل القلاليف بين شطآن الخليج العربي وهجرتهم من مكان إلى آخر إلى توحيد اسلوب الصناعة .. كما أدى انتقال الخبرة إلى تطور هذه المهنة بشكل سريع .. يوسف الماجد يعود بذاكرته للوراء ويقول في هذا الصدد :-

يكون عملنا في الشتاء مقتصراً على صيانة السفن التي استهلكت تقريباً في فترة الغوص وتسمى هذه الفترة عندنا (الدركال) وتعني تجديد الياف القطن بين شقوق الخشب في السفينة، وتغيير المسامير التي تآكلت، وتلميع السفينة بالصل .. وفي الصيف نعتبرها فترة هجرة القلافين للعمل في المناطق المجاورة، فمثلاً يأتي قلافو البحرين إلى قطر وقلافو قطر يذهبون إلى الإمارات وعمان وقلافو الكويت أيضا يأتون العمل في قطر، وقلافو الساحل الفارسي يأتون العمل أيضا إلى الساحل العربي من الخليج وهكذا// .. وتتوقف هذه الحركة على العرض والطلب أو على من يدفع اكثر، وكان سهلاً أن يجد القلاف عملاً في أي مكان ينزل به، والأكثر حظاً في العمل هم من يملكون مهارة المهنة وبراعتها، وان حامل المهنة بتنقله بين شطآن الخليج بدوافع الاستزادة والبحث عن الجديد وحب العمل، كان أهم عنصر في دفع حرفة القلافة إلى الأمام دائما، والأسلوب التقليدي في تعلم الصنع هو الدافع لانتقال هذه المعارف من جيل إلى آخر وطريقة تعلمها رغم قسوتها، إلا أن من يتحمل صعوبتها يستمر ويرتقي في حرفته إلى مستوى الأستاذية في الصناعة، ويحصل على لقب (الأستاذ) وهى أعلى مرتبة في مهنة القلافة، وهو لقب لا يطلق إلا على المعلم الحاذق في هذه المهنة، وهو ما يؤكده دائماً وفي كل مجالسة الوالد (يوسف بن علي بن حسن الماجد) أستاذ القلافة في قطر.

هيــرات قطــر

الملاحة عند عرب الخليج

بلغت حركة الترجمة العلمية إلى العربية ذروتها في عهد الخليفة المأمون عام ٨١٣ ميلادي الذي انشأ دار الحكمة وديوان الترجمة، وبزغ منهم علماء أفذاذ مثل الخوارزمي الذي وضع مبادئ علمي الجبر والحساب، وكانت هذه الترجمات حافزا لوضع الجداول الفلكية المبنية على رصد دقيق النجوم والانفراد في وضع الآلات الفلكية الدقيقة.. ووجد عرب الخليج تراثاً ضخماً في علم الإبحار العربي، فأخذوا منه ونهلوا من علومه، حتى صار لهم شأن وتخصص في هذا الفن سجلوه في مراجع وكتب تعين الملاح على ضبط المجرى القياس التعرف السواحل والمراسي المختلفة.

مجاري الهداية (النايلة)

يعد هذا الكتاب الذي قام بتأليفه الربان راشد بن فاضل البنعلي عام ١٩١٨ م دليلاً بحرياً للإبحار بالسفن الشراعية بين الموانى والجزر والقرى الواقعة على شاطئ الخليج العربي، وتنحصر أهميته في انه امتداد للتراث الملاحي البحري القديم لمعالم الخليج، ويمتاز عن سابقيه بإضافة المسافات الواقعة بين الهيرات بالأميال، وباهتمام المؤلف بقياس عمق الماء في المواقع والمراسي المختلفة، كما يمتاز برسوم توضح مجاري و أسماء النجوم الملاحية في مطالعها ومغاربها.

والربان راشد هو أحد أقدر ربابنة البحر في الخليج العربي خلال أوائل القرن العشرين. ولد في مدينة الحد في البحرين في سنة ١٨٧٤ وتلقى دروسه العملية في فنون الغوص على اللؤلؤ وطرق الإبحار في الخليج، وفي العام ١٩٠١م استوطن مع جماعته من عائلة البنعلي في قطر لفترة سبعة عشر عاماً، كانت هي فترة تأسيس معرفته العلمية في علوم البحار، وبدا منها توسعة معارفه عن طريق اهتمامه بالبحث عن هيرات الغوص التي تحتوي على محار اللؤلؤ وتدوين أوصافها ومجاريها، و أضاف إلى علم الإبحار الكثير من طريق البحث والإبداع، وسلك مسلك علماء العلوم الطبيعية والتطبيقية المحدثين في عصرنا هذا.. ولان (مجاري الهداية) أحد المصنفات الشعبية ذات العلاقة بالعلوم البحرية، فقد قام مركز التراث الشعبي لدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ومقره (الدوحة) بالتحقيق والمعالجة العلمية للنص الأصلي لهذا المصنف العام، وأصدره في كتاب يحمل الاسم ذاته عام ١٩٩٤م.. ونحن هنا نستمد منه المعلومات الخاصة عن (هيرات قطر) إسهاما في توضيح المواقع التي كان يرتادها البحارة للغوص على اللؤلؤ في المناطق المحيطة بدولة قطر ، وهي مواقع دونها

في مصنفه الهام بطريقته الخاصة، حيث غاص هو بنفسه لدراسة الهيرات، وتأكد من صفتها، ودون قياسات الأعماق ومجاري السفن ووُصف طبيعة قاع البحر خلال كل مجرى سلكه في إبحاره.

هيرات قطر :

نقتطف مما دونه الربان راشد بن فاضل في ذكر مجاري مغاصات اللؤلؤ (الهيرات) والبنادر حول سواحل الخليج، ما ورد عن سواحل قطر التي اشتهرت بأفضل مغاصات اللؤلؤ، والتي تؤكدها جميع المصادر - كما ذكرناها سابقاً- وبذلك نكون قد اعتمدنا على أهم مصدر يفيد في إجلاء الحقيقة التي كانت تتمتع بها قطر في حقبة الغوص على اللؤلؤ.. وللأمانة الأدبية فإننا سننقل هذه المعلومات من النص الأصلي لكتاب (النايلة) وفق إصدار مركز التراث دون تدخل أو تحريف.

دليل البحار لمن يريد الدر من المحار

أما بعد أيها المريدون لدفترنا مجاري الهداية، سأنبئكم عن أنه لا بد لكل سالك في لجج البحر من بداية ونهاية. فأول ما ينبغي لسالك البحر التوكل على الله والاعتماد عليه. وأن يصحب معه أدوات البحر الضرورية كالبوصلة المضبوطة (الديرة القرار)، وآلة قياس الأعماق (البلد)، والبحار المتمكن من قياس الأعماق (البلاّد) وقائد يتقن إدارة دفة السفينة (سنّاد متقن) ، وأن يكون على دراية بحركة المد والجزر وباتجاه التيارات وسرعتها، ويحتاط للانحرافات الناتجة عنها حتى لا يضل وجهته الصحيحة. وأن يكون على علم بمقدار المسافات والأبعاد، وأن يكثر من قياسات الأعماق عند اقترابه من مغاصات اللؤلؤ (الهيرات) وأن يحذر العجلة، وأن يضبط مواقع قاع البحر المنخفضة (الخيران) والتي تقع بين مغاصات اللؤلؤ، وأن يعرف طبيعة البنادر ومواقعها، وأن يجيد معرفة مطالع النجوم ومغائبها على البوصلة (الديرة)، فقد جعلها له نظاماً ضابطاً.

مجاري مغاصات اللؤلؤ (الهيرات)

من فشت الديبل في الشمال إلى رأس ركن على ساحل قطر المجري في مطلع التير (١١٢°) والإكليل (١٢٣°) والمسافة قدرها ٢٤ ميلاً ... من رأس ركن إل رأس لفان المجري بين مطلع العقرب (١٣٥٠) والحمارين (١٤٦٠) ... من رأس لفان من بحر عمقه ٤ قامات المجري في مطلع السهيل (١٧٥٠) إلى أن تصل مقابل إنجفة المطبخ ، ثم تحول إلى مجري القطب (١٨٠°) ومجراك هذا في عمق ٤ قامات يستمر حيث تكون جميع الفشوت بالنسبة لمجراك من ناحية

اليابسة أي في اتجاه الساحل غرباً ... يوجد عند رأس ركن بلده اسمها المفير ، كما توجد أيضا بلدة اسمها الغارية في جنوب رأس أم حصاه ، وفي الشمال يوجد عند الجزء الشمالي من رأس الجبل بندر عمق بحره قامة ونصف القامة ، وإذا أردت الرسو بالقرب من الشاطىء والذي عمقه قامتان فعليك أن تستعمل المرساة الأوروبية، ويوجد في جنوب الجبل بلدة اسمها الفويرط. كما يوجد في الجنوب من الفويرط وعلى بعد ميلين بلدة اسمها المرونة.

من رأس أم حصاه إلى رأس لقان المسافة قدرها١٥ ميلاً .. من رأس ركن إلى جزيرة حالول المجرى في الجنوب من مطلع التير (١١٢°) والمسافة ٦٧ ميلاً .. و جزيرة حالول هي جبل مرتفع ليس له لسان رملي (ماشية)، وعند الرسو بها يجب استخدام مرساة خليجية (سن) ذات سلسلة حديدية. والمسافة من الدوحة إلي جـزيرة حالول قدرها ٤٧ ميلاً ومن لفان إلى جزية حالول المسافة قدرها ٤٧ ميلاً.

من ذخيرة إلى جزيرة حالول المجرى في مطلع الجوزاء (١٠١°) والمسافة قدرها ٤٥ ميلاً. من مدخل خور البدع عاصمة قطر (الدوحة حالياً) إلى أبو ظبي المجرى في اليسار من مطلع التير (١١٢°) وهذا المجرى يأخذك شمال الجزر التالية وبالقرب منها:. جزيرة الخيفان، وجزيرة شراعوه، وجزيرة ديينه، وستظهر فجأة جزيرة إزركوه. وبينما أنت في مجراك في الشمال من مطلع التير (١١٢°) ستظهر لك أبو ظبي وفيها عدد بسيط من النخيل ... المسافة من جزيرة حالول إلى مدينة دبي قدرها ١٣٥ ميلاً.. من دبي إلى الدوحة عاصمة قطر المجرى في المغيب (٢٧٠°) وستمر في ذلك المجرى على صير أبو نعير وسيأخذك مجراك بين جزيرتي داس وحالول ثم يظهر مدخل البندر والمسافة (٢٠٥) أميال.. أيضاً من العد القبلي إلى جزيرة حالول المجرى في مطلع السماك (٦٧°) وفي اليسار منه. من رأس لفان إلى العد القبلي المسافة قدريها ٣٧ ميلاً . و العد القبلي هو مغاص غني تبدا مجاريه من جزيرة حالول.. من العد القبلي إلى جزيرة حالول المجري في اليسار قليلاُ من مطلع السماك (٦٧°) من العد القبلي إلى خريس أم العظام المجرى في مطلع السهيل والمسافة قدرها ٩ أميال.. من العد القبلي إلى العد الشرقي المجرى في مطلع التير (١١٢°) ثم إلى المعراض و إلى أبا الغماغيم من الغرب.. ومن العد القبلي إلى الدوحة عاصمة قطر المجرى في مغيب التير(٢٤٧°) .. ومن بندر الدوحة إلى أبا الهنبار المجرى في مطلع النعش (٢٢ °).

من هير أبو قريعة حالول إلى هير أبا المسان المجرى ما بين مطلع الحمارين (١٤٦°) والسهيل (١٥٧°) وعمق البحر فيما بينهما ١٨-١٧قامة ، أما هير صلعة أبا المسان فعمق بحرء ٩ قامات، وهو يحتوي على كتل صخرية كبيرة وكهوف، وفي المنطقة الضحلة من الهير توجد قطعة

صخرية تقع فيما بين مغيب الحماريـــن (٢١٣°) والسهيل (٢٠٢°) وعمق البحر بين هير آبو قريعة حالول وهير أبا المسان ١٣ قامة ، ولون الأرض سوداء لوجود المرجان الطري المتوفر في المنطقة ، والمسافة قدرها ٣ أميال.. من هير أبا المسان إلى العد الشرقي المجرى في مطلع السهيل (١٥٧°) والبحر فيما بينهما عمقه ١٩-١٨ قامة وبين جزيرة حالول وبين أبا المسان بحر عمقه ٢٣ قامة.. من جزيرة حالول إلى نجوة المجرى في مطلع (١١°) وبحرها عمقه ١٤-١٣ قامة والمسافة قدرها ١١ ميلاً . والبحر من دونها عمقه ٢٣ قامة.. و العد الشرقي هير غني وهو من أنجب الهيرات، وعمق بحره ٧-٦ قامات ، وأرضه تحتوي على كتل صخرية ومساحته متوسطة الكبر.. ومن العد الشرقي إلى جزيرة حالول المجرى بين مطلع الفرقد (١١°) والنعش (٢٢°) والمسافة بينهما قدرها ١٩ ميلاً .. ومن العد الشرقي إلى جزيرة شراعوه المجرى في مغيب السهيل (٢٠٢°) وتصل بذلك المجرى أولاً إلى هير طباب إرحمة وعمق بحره ٧ قامات ، ثم وفي نفس المجرى تصل إلى جزيرة شراعوه والمسافة بين العد وشراعوه ٢١ ميلاً.. ومن العد الشرقي إلى حالة الخيفان المجرى في مغيب التيـر (٢٤٧°) وسيظهر برج الحالة في مقدمة السفينة وهو علامة واضحة والمسافة قدرها ٢٣ ميلاً.

مجاري هيرات الظهر من مفرص الدوحة

من مفرص الدوحة إلى العد القبلي المجري في مطلع السماك (٩٠°) وتصل بذلك المجرى إلى حواد أبو الصلابيخ ثم إلى العد القبلي.

من المفرص إلى هير أم ا لعظام وهير أم الكتيب والعد الشرقي المجري في المطلع (٩٠°). ومن المفرص إلى ظهر الحالة إلى أم الخشاش المجرى في مطلع الجوزاء (١٠١°) ... من حالة الخيفان إلى الجرولة وأبا العروق وأم العظام وخريس أم العظام المجرى لهم جميعاً في مطلع النعش، وعمق البحر بين الجرولة وأبا العروق ١٠-٩ قامه وعمقه بين أبا العروق وأما العظام ١٤-١٣ قامة، وعمقه بين أم العظام وخريس أم العظام ١٥-١٤ قامة ، ومن الممكن رؤية سواري السفن من جميع هذه الهيرات. ومن خريس أم العظام إلى العد القبلي المجرى في مغيب النعش (٣٣٧°) وعمق البحر بينهما ١٣ قامة. و من هير أم الكتيب إلى هير أم خرط المجرى في مغيب العقرب (٢٢٥°) وعمق البحر بينهما ١٤قامة ، والمسافة قدرها ٤-٣ أميال. و مجرى مغيب العقرب هذا يوصلك إلى حالة الخيفان.

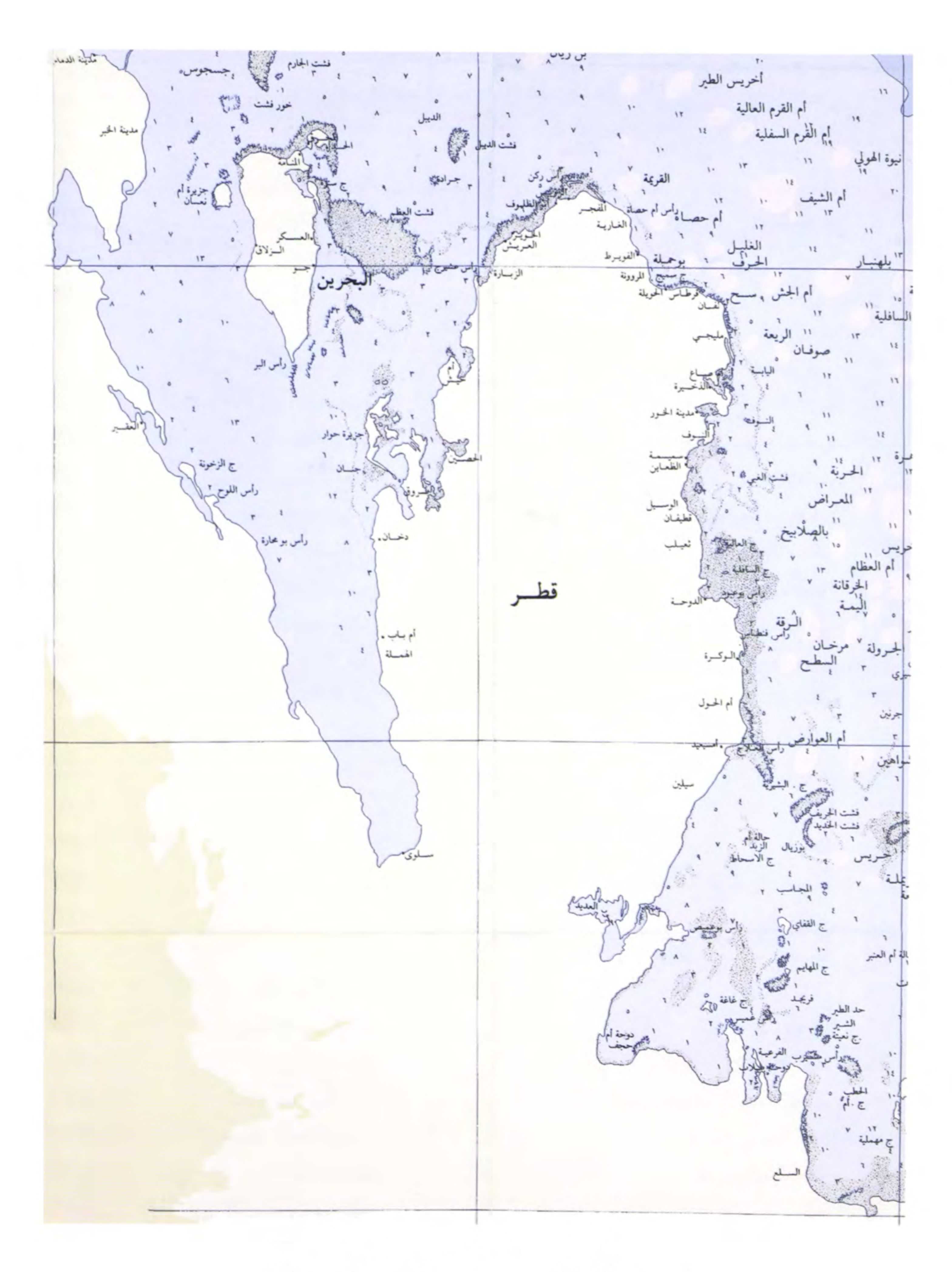
من أم الكتيب إلى جزيرة شراعوة المجرى في القطب (١٨٠°) وتصل بذلك المجرى أولاً إلى هير يسمى قرن عشيرج وأصله قرن إبريج. وعمق بحره ٧-٦ قامات ويحتوى على شعاب

مرجانية متفاوتة الارتفاع (قصاصير)، وكتل صخرية لها أطراف حادة (أدفاش) ، ثم تصل بعد ذلك إلى هير أبو السلا، والبحر بين قرن عشيرج وهير أبو السلا عمقه ١١ قامة، وتمر بكل ذلك وأنت في مجرى القطب (١٨٠°) حتى تظهر لك جزيرة شراعوه ككتلتين جبليتين منفصلتين واحدة في الشرق والأخرى في الغرب، ويوجد رمل بين هاتين الكتلتين، وبندر جزيرة شراعوه فيه صخور مرجانية صغيرة (قشت)، وفي الجزء الشمالي بالقرب من شراعوه توجد شعاب مرجانية عالية لونها أسود ظاهرة للعيان مغطاة بكمية ضحلة من ماء البحر (قصار)، وبين القصار وبين الجزيرة ممر للسفن.

هذا وقد انقضى ما هو الأهم من تعريف المجاري، ولا بد من تعريف المسافة بالأميال. فلا يخفى بأن المسافة المقدرة لرؤية السارية (شوف الدقل) المقدر طولها بثلاثين ذراعاً أثناء الجو الصافي هي ٩ أميال، ويعادلها مسير ساعة في السفينة الشراعية الخليجية وذلك عندما تكون الرياح جيدة لسير السفينة، اما أغلب السفن فإنها تقطع مسافة ٦ أميال في الساعة.

فــائــدة :

البريد هو أربعة فراسخ ، والفرسخ ثلاثة أميال، والميل ألف باع، والباع أربعة أذرع، والذراع أربعة عشرون إصبعاً ، والإصبع ست شعيرات، والشعيرة ست شعرات من ذنب البغل. ومسافة قصر الصلاة للمسافر أربعة برد وهي ٤٨ ميلاً.



خريطة توضح مجاري الهيرات في قطر

إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث

إدارة الثقافة والفنون

قسم الدراسات والبحوث

1	البدء من جديد	حصة العوضي	2000
2	بداية أخرى	فاطمة الكواري	2000
3	أصوات من القصة القصيرة	حسن رشيد	2000
4	دنيانا	دلال خليفة	2000
5	قالت ستأتي	جاسم صفر	2000
6	غنج الأميرة النائمة	فاروق يوسف	2001
7	وريثة الصحراء	سعاد الكواري	2001
8	ويخضر غصن الأمل	أحمد الصديقي	2001
9	بستان الشعر	حمد محسن النعيمي	2001
10	رومانوف وجوليت	ترجمة النور عثمان أبكر	2001
11	الأدب المقارن من العالمية إلى العولمة	د. حسام الخطيب	2001
12	الحضن البارد	حسن رشيد	2001
13	سحابة صيف شتوية	خالد عبيدان	2001
14	سيرة الوجع	أمير تاج السر	2001
15	وجوه خلف أشرعة الزمن	حصة العوضي	2001
16	حافة الموسيقى	غازي الذيبة	2001
17	قصص أطفال	هيا الكواري	2001
18	أوراق نسائية	د. أحمد عبدالملك	2001
19	الفريج	إسماعيل ثامر	2001
20	الأعمال الشعرية الكاملة ج١	د. أحمد الدوسري	2002
21	علمني كيف أحبك	معروف رفيق	2002
22	قصص وحكايات شعبية	خليفة السيد	2002
23	رحلة أيامي	صدى الحرمان	2002
24	جرح وملح	عبدالرحيم الصديقي	2002
25	خلف كل طلاق حكاية	وداد الكواري	2002
26	دراسات في الإعلام والثقافة	د. أحمد عبدالملك	2002
27	النثر العربي القديم	د. عبدالله إبراهيم	2002
28	كان الأشياء لم تكن	جاسم صفر	2002
29	نعاس المغني	عبدالسلام جاد الله	2002
30	مدى	زكية مال الله	2002
31	قال المعنى	خليل الفزيع	2002
32	المسرح الألماني	عوني كرومي	2002
33	المسرح في بريطانيا	محمد رياض عصمت	2002
34	الأعمال الكاملة ج٢	أحمد الدوسري	2002

35	مسرح الصوت والصورة	د. صلاح القصب	2002
36	إبراهيم ناجي	حسن توفيق	2002
37	النوافذ السبع	صيته العذبة	2003
38	الرحيل والميلاد	جمال فايز	2003
39	أوراق ثقافية	كلثم جبر	2003
40	بدائع الشعر القطري الشعبي	علي الفياض / علي المناعي	2003
41	شبابيك المدينة	ظافر الهاجري	2003
42	حضارة العصر الحديث	د. شعاع اليوسف	2003
43	المتراشقون	غانم السليطي	2003
44	معاناة الداء والعذاب في أشعار السياب	د. حجر أحمد حجر	2003
45	سحائب الروح	سنان المسلماني	2003
46	أصوات في القصة القصيرة	د. عبدالله إبراهيم	2003
47	الظل والهجير ومسرحيات أخرى	د. حسن رشيد	2003
48	مسرحية موال الفرح والحزن	حمد الرميحي	2003
49	وجوه متشابهة	خليفة هزاع	2003
50	ذاكرة الإنسان والمكان	حسن الملا	2003
51	إبراهيم العريض شاعرا	عبدالله فرج المرزوقي	2003
52	الأعمال الشعرية الكاملة	مبارك بن سيف آل ثاني	2004
53	لآلئ قطرية	علي عبدالله الفياض	2004
54	أم الفواجع	علي ميرزا	2004
55	مجاديفي	حصة العوضي	2004
56	الصحافة العربية في قطر	إبراهيم إسماعيل	2004
57	الصحافة العربية في قطر	ترجمة النور عثمان أبكر	2004
58	صباح الخير أيها الحب	وداد عبداللطيف الكواري	2004
59	التفاحة تصرخ.. والخبر يتعرى	دلال خليفة	2005
60	أداة التغيير	عبدالعزيز العسيري	2005
61	الشعر الحديث في قطر	د. عبدالله فرج المرزوقي	2005
62	الشرح المختصر في أمثال قطر	خليفة السيد	2005
63	الأدب المقارن العربي واجهات وعلامات عالمية	د. حسام الخطيب	2005
64	مهارات الإرشاد النفسي وتطبيقاته	د. موزة المالكي	2005
65	حكاية جدتي / قصص أطفال	مريم النعيمي	2005
66	أسباب للانتماء / قصائد مترجمة	ظبية خميس	2005
67	الأعمال الكاملة	زكية مال الله	2005
68	على رمال الخليج	محمد ابراهيم السادة	2005
69	التجريب في رواية مدن الملح	نوره محمد آل سعد	2005
70	وردة الاشراق	حسن توفيق	2005
71	مسرحيات قطرية	حمد الرميحي	2005

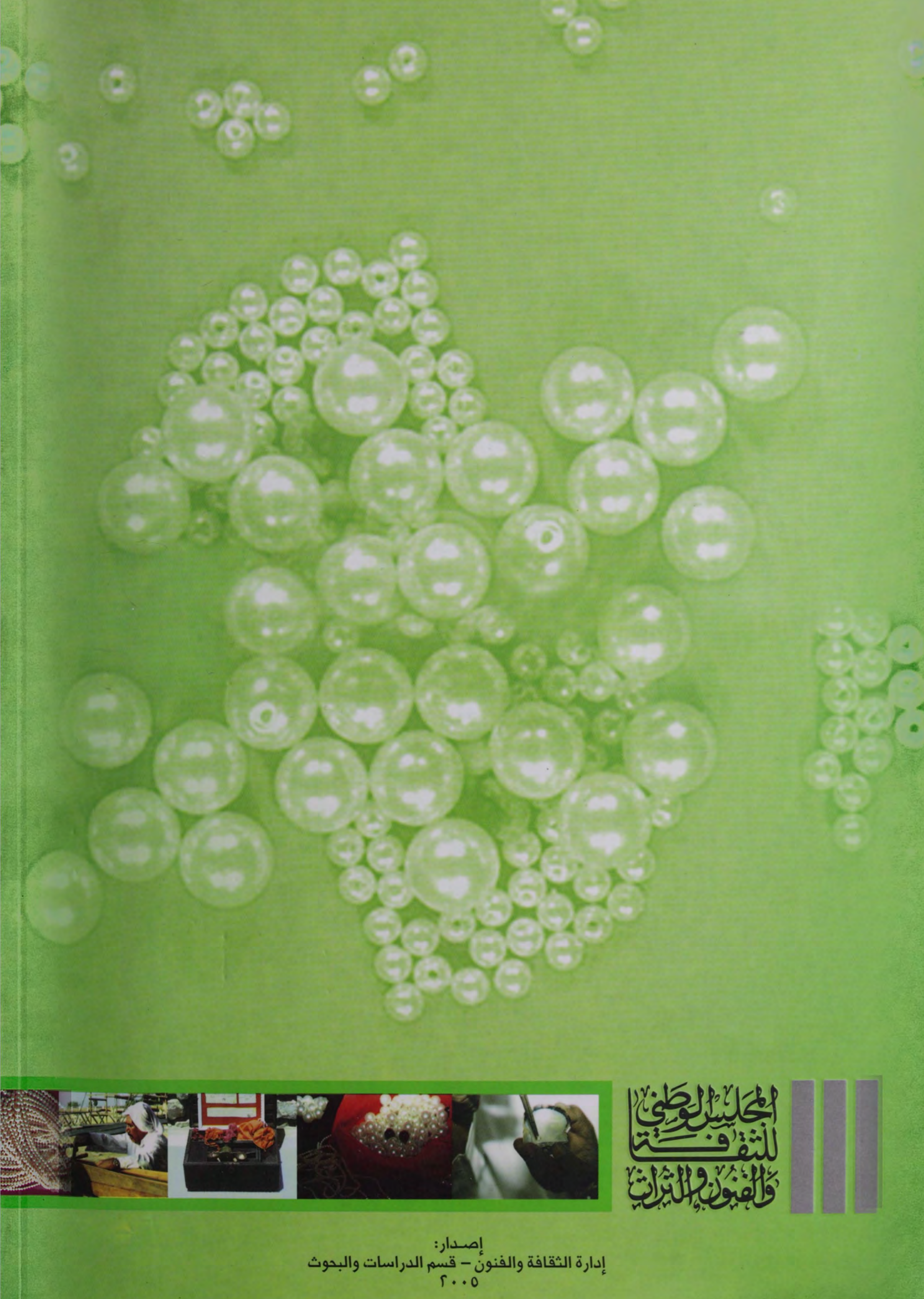
٦٣٩,٤١٢ خالد عبد الله عبد العزيز زيادة
لؤلؤ الخليج: ذاكرة القرن العشرين/ خالد عبد الله
عبد العزيز زيادة - الدوحة: المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث،
٢٠٠٤
١٠٤ ص: صور ٢٤ سم
رقم الإيداع بدار الكتب القطرية: ٢٠٠٤/٥٧٦
الرقم الدولي (ردمك): ٩ - ٣٧ - ٥٨ - ٩٩٩٢١

رقم الإيداع بدار الكتب القطرية: ٢٠٠٤/٥٧٦
الرقم الدولي (ردمك): ٩ - ٣٧ - ٥٨ - ٩٩٩٢١

أشرف على هذا الاصدار

جاسم صفر
رئيس قسم الدراسات والبحوث

سنان المسلماني
رئيس قسم المسرح



إصدار:
إدارة الثقافة والفنون – قسم الدراسات والبحوث
٢٠٠٥